



صحائف حياة مذكرات اف المرحوم محمد

لناشرها



المدرس بمدرسة فاروق الثانوية



حقوق الطبع محفوظة للناشر



الطبعة الأولى — يناير سنة ١٩٢٤

مطبعة الشعب لكتاب محمد علي

مقدمة الناشر

عُثِرَ على أوراق كانت عند أحد باعة الكتب القديمة
 فلهجت فيها كلمات قرأت بعضها فساقني ذلك إلى قراءة
 ما يليها ثم مازت حتى انتهيت إلى آخرها فتنفست نفساً
 طويلاً وشعرت في نفسي بألم لذيذ وقد يكون الألم لذيذاً
 إذا صادف في النفس معنى خفياً لا يستطيع الإفصاح عنه
 وإن رأيت أن انشر تلك الكلمات كما وجدتتها ولا ادعى
 للقارئ أنها عمل كبير ولا أنها تستحق منه الإعجاب أو
 الكبار فما أقصد إلا أن يشعر من يقرأها بمثل ما شعرت
 به وحسبي منه أن يتنفس نفساً طويلاً وأن تتبالي عيناه كما
 تنفست وتبالت عيناي رثاء لضحية من ضحايا المجتمع - فإن
 كان ذلك فاخرت بأني نقلت إلى الناس قولاً يحرك نفوسهم
 وإلا كان واجباً على أن اعتذر عن اعصابي الضعيفة .
 وقد كان في عزم رجل قبلي أن ينشر هذه الكلمات

ولا ادري علة قعوده عن عزمه وكذلك لا اعلم كيف وصات
هذه الاوراق الى بائع السكتب الذى وجدتها عنده. فاعل
الدهر قد تقاب مرة على الثانى كما عصف بصاحبه فأفادت
تلك الأوراق الى حيث عثرت عليها وانى ذا كر للقارىء
مقدمة كتبها ذلك الرجل الذى لم يتعم غرضه من
محمد فريد ابو حديد



مقدمة المجهول

الذى آلت اليه الأوراق

سأجتهد أن اخرج هذه الأوراق كما تركها صديقي
 المرحوم محمد حتى إذا كان للناس قلب يتألم أو نفس ترحم
 تألموا ورحموا . كم في العالم من اشقياء لا ذنب لهم في شقائهم
 وانما هي جريمة النظام الفاسد الذى يسود على العالم فيجعل
 نصيب بعض الحرمان ونصيب بعض البطر والاغراق وم
 بين الخلق من ضحايا ذهبوا بعد حياة كلها بؤس وشدة
 إذعجزوا عن الفوز في نضال الحياة - ذلك النضال الذى
 يفوز فيه الظالم والغاصب والجامد في أيام ينعتونها بأنها
 أيام تقدم وحضاره .

لقد بدالى أن الحياة حقيرة وأن نظامها فاسد وان على
 عقول اهلها غشاوة من العادات والعقائد والأوهام - لقد
 بدالى ذلك بعد أن ذهب من العالم صديق كنت أحسن
 الظن بالحياة من أجله ورأيت نفسى وحيداً في صحراء جرداء

تجردت من زخرفها وانكشف عنها غطاؤها المموه .
 إن قلبي دام ولا أريد أن اتكلم ويزيدني كرها في
 الكلام انى لا ارجو لما حول الناس من الفساد صلاحا سر يعا
 لأن جذوره أبعدا أصلا وأشد بأسا من أن يقطعها صراخ
 ولوعلا ولسكنى لا أستطيع أن اكتم عن الناس صرخات
 صديقى المرحوم - تلك الصرخات التى لأقروها إلا بزفرة
 نائرة ودمعة متناثرة وصدر ضيق وفكر مضطرب
 لقد مات صديقى ضحية فالى رحمة الله - بعد أن كتب
 تلك الكلمات فى آخر مدة من حياته كلما أجهدته الهم بين
 يوم وآخر ولعل الله يجعل فى أجلى مهلة حتى أنشرها فيرثى
 البائس الحى لصاحب فانت ويرى المنعم اليوم صورة من
 حياة أخ شقى هلك بالأمس فى شقائه

فهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اول يناير . كان يجب الا ينزل البرد في بلد به فقراء لو كانت الطبيعة عادلة . لقد كنت اسمع الناس فيما مضى يقولون ان الشتاء خير من سائر فصول السنة وكنت وافقهم على ما يقولون اذ كنت لا اشعر بمثل ما اشعر به اليوم . فان الشتاء انما يلذ فيه السكون والدفء وهو فصل المنازل السعيدة والسمر العائلي المرح والاجتماع الهنيء فاذا لم يكن كذلك ذهب حلاوته وبقي منه البرد والريح والمطر والظلام . هذه ثياب امي المحبوبة لم تتغير منذ الصيف الغابر . وهما هي راقدة على فراشها البارد تسعل سعالا شديداً . والماء ان قلبي يتمزق كما اسمع ذلك السعال يحتلجها كذلك . أواه ! وكيف أنت الان أيتها الأخت المسكينة في منزل جدتك . هل تسعين كذلك وترتجفين من البرد مثل أمي ؟ انى أبصر وقلبي يحس ولسكن كيف السبيل الى غير ذلك وما حيلتي . أنا لا أزال طالبا لا اصالح لعمل . ووالدي

لما يستطيع ان يرسل لنا اكثر مما يرسل وأنا عالم بذلك العجز منه فلا أقدر أن أطلبه بما لا طاقة له به وهبني طابته فكيف يجب - إن البرد يرجفني انا كذلك ولكن ليس هذا بشيء فياليت كل البرد ينزل بي وتذهب مابي من حرارة الى ذلك الجسم المرتجف جسم أمي فأنا أقوى منها على الاحتمال. إنها تحاول إخفاء المهابني ولكن اني لها ذلك والضعف يبدو برغمها . سأعالج النوم برغم كل ذلك ولعاني استطيع فأنسى ذلك البؤس ولولساعات .

٥ يناير - عصفت الريح امس ليلا واشتد نزول المطر ولعن الله النوافذ المكسورة والسقوف المثقوبة - اننا لم نستطع النوم وقضينا الليل بين محاولة رتق فتوق وتجفيف سيمول . الامتى يمضى ذلك القر الشديد ويحل فصل المساكين فصل الصيف . يقولون انه فصل منكروه تزهق النفوس من حره وتنتشر الامراض في هوائه وتمرض الصبور من غباره - وهل ذلك عيب فيه ؟ إن من قال ذلك نسي أن أسعد يوم يطلع على العالم هو اليوم الذى يحتاج فيه الداء زمرة الفقراء البؤساء فيطهر العالم من داء وييل - لا بل

استغفر الله انه اليوم الذى يستريح فيه اكبر عدد من الناس
من عناء تلك الحياة وهل الفقراء الا اغلب الخلق ؟ اأتى
أعجب من تقسيم الحظوظ فى ذلك العالم ولا أدرى السرفيه
فكيف يذهب الأقل من الناس عدداً بخير الارض ويترك
لعامة الدهماء فضلات ما يلقى من الطعام وسور ما يعاف
من الشراب - هل هناك كل ذلك الفرق بين قدرة بعض
الخلق وقدرة البعض الآخر أم بين ذكاء وذكاء - لا بل اظن
أن سبب ذلك الفرق بين الناس هو أن بعضهم قانع كريم
وأن البعض الآخر شره تواق .

ولكن لم كل هذا التفكير الأسود ؟ لقد قال لى رجل
فقير من اخوانى حكمة يجب ان اذكرها دائماً اذا استطعت
وهذه الحكمة هي ان انظر دائماً الى من هم اسوأ منى حظا .
فان فى الناس من يعدنى سعيدا .

١٢ يناير . لا يمكن ان ابقى كذلك ابداً . هأنا شاب
قوى اشكو كائنى فتاة ضعيفة أو شيخ عاجز . أأبقى على
ألمى ولا احرك يدى لعمل ؟ وهل ألوم الحظ واسخط على
العالم عندما ارى امى تئن من مرضها مع انى جدير بأن

أَسْخَطَ عَلَى نَفْسِي أَوْلَا؟ مَا الَّذِي يَرْبِطُنِي حَتَّى لَا أَعْمَلْ عَلَى
تَخْفِيفِ مَا أَنَا بِهِ مِنَ الشَّقَاءِ؟ أَنَّنِي أَقْدِرُ عَلَى قَطْعِ الْحَجَرِ مِنْ
الْجِبَالِ وَعَلَى أَنْ أَفْلَحَ الْأَرْضَ كُلَّ رَجُلٍ آخَرَ مِنَ الْعَمَلَةِ وَالسَّكْنَى
مَعَ ذَلِكَ أَقْعِدُ سَاكِنِي رَجَاءَ الْمُسْتَقْبَلِ - وَيِلَّ لِنَفْسِي مِنْ ذَلِكَ
الطَّمَعِ الْجَاهِلِ . إِنِّي كُلَّمَا أَبْصَرْتُ قَوْمًا يَعْمَلُونَ وَجِبَانِهِمْ
يَتَصَبَّبُ عَرْقًا شَعَرْتُ بِخَجَلٍ عَظِيمٍ أَذِي تَضَعُ لِي الْفَرْقَ الْكَبِيرَ بَيْنَ
نَفْسِهِمُ الْكَبِيرَةِ وَنَفْسِي الْحَقِيرَةِ ، فَأَنَّى مِثْلُ الشَّحِيحِ
الَّذِي يَقْضِي عَمْرَهُ فِي الْجَمْعِ مَخَافَةَ الْفَقْرِ وَلَا يَجِدُ يَوْمًا مَا يَجْعَلُهُ
يَقُولُ قَدْ اكْتَفَيْتُ . إِلَّا تَعَسَّأَ لِلْمَدِينَةِ الَّتِي تَسَبَّبَ تِلْكَ الْقِيُودُ
فَتَنْزِلُ النَّفْسَ بِهَا . إِنْ الْعَامِلُ الَّذِي يَعُودُ إِلَى ابْنَائِهِ فِي الْمَسَاءِ
يَحْمِلُ حَزْمَةً مِنَ الْفَجْلِ أَكْرَمَ مِنْ نَفْسِي وَأَسْعَدَ قَلْبًا لِأَنَّهُ
سَعَى وَأَتَى لِأَهْلِهِ بِمَا قُدِّرَ لَهُ بَعْدَ السَّعْيِ طَاقَتَهُ عَلَى حِينِ أَنِّي
أَلُومُ كُلَّ شَيْءٍ وَأَقْعِدُ عَاجِزًا إِلَّا أَحْسَنَ إِلَّا الصَّرَاحَ .

١٥ بَابُ . لَا تَرِيدُ أَمِي سَمَاعَ فِكْرِي وَلَا تَحِبُّ أَنْ اسْتَثْلِمَ
لِتِلْكَ الْخَيَالَاتِ - فَهِيَ مَصْرُوعَةٌ عَلَى أَنْ أَبْقَى فِي الْمَدْرَسَةِ حَتَّى
أَتِمَّ دِرَاسَتِي فَأُخْرِجَ غَيْرَ مُسْتَعَجَلٍ إِلَى أَمَلٍ فَسِيحٍ وَالسَّكْنَى
لَا أَقْدِرُ أَنْ أَظِلَّ كَذَلِكَ عَلَى مَا أَنَا فِيهِ هَذِهِ السَّنِينَ الْمُقْبِلَةِ وَهِيَ .

طويلة في نظري طول قرون . وإن عزمي ثابت لن يزعه -
حد حتى ولا أُمي .

لقد قضيت طول ليلة الأُمس باكيا لم يطاوعني النوم -
حين طالبتَه - واحمد الله اذ نندى ديوان شعر
اشتريته من زمن افزع اليه إذا افعمت الكأس وزاد .
بي الاسى فأجد فيه سلى لا أجدها في كلام أحد من
الناس - اللهم الا صديقي فهم وأين هو مني . إني لا اراه -
الآن الانادرا .

١٦ يناير - ماهذه القيود التي ازعم انها تقيدني؟ ما فائدة -
هذه اليد وهذه الرجل وذلك الراس؟ يجب ألا ألوم أحدا -
غير نفسي إذا أنا لم أستفد بما وهبني الله من قوى وهل خاف -
الله هذه الاعضاء الا للعمل والسكد والسعى الى الرزق .
أنا اعتذر عن نفسي بأنني لا أستطيع الدخول الى الميدان الآن .
ولكني اعتل بعلم العاجزين . فان الإنسان لا بد أن .
يسعى وإذا سعى وخاب عن العمل الشريف رغم محاولته .
فأني ابرر ان يقصد الى غير الشريف فلا لوم عندي .
على السارق الذي اندفع بعد العجز الى السرقة ليقوت أهله - .

لا بل انى أقول أكثر من هذا - أقول إن النفس الكبيرة
إذا وقعت في شقاء لم تجرهُ هي على صاحبها ثم عجزت عن
العمل الشريف بعد محاولته لوقوف المجتمع القاسى في سبيلها
وجب عليها الذهاب الى ابعاد الغايات ، الى الاجرام البشع ،
والنهب المحرم ، وهل هذا الا دفاع عن النفس ؟ إن المجتمع
يحاول قتلها فلا بد أن تدافع عن حياتها فيجب ألا تموت
مادام في العالم زاد يمكن اقتسامه . إن الاسد يفترس قوته
غصبا وفتكا فلم لا يصير البائس كالأسد غاصبا فاتكا - أما
بأننا نخير لدى أن اكون كذلك من أن يقال في إذامت إنى
مسكين قضيت اذ عجزت عن التماس الرزق .

٢٠ يناير . لقد زاد الحال على قدر الاحتمال وأرى جدران

بيتى هذا المظلم ضيقة على نفسى واجد البرد فيه اقسى من البرد
المعتاد . وكأني أبصر قوما في هذه الساعة جلوساً في منزل كسته
الرياش فغطت ارضه الحجرية الباردة وعليهم من الملابس
ما يكسو الجسم فيقيه وخز هذا البرد القارس فاذا ما أقبل
الليل كانت لهم سرر وثيرة الفراش يهنأ بها النوم ويلذ . ولكنى
بعد ذلك التخيل ارجع لنفسى فاجدنى في ارض مكشوفة

وثياب بالية وفراش بئس ما يفترش - اننى اضحك برغمى
وأنا فى تلك الحال لأننى تذكرت قول اخى الأعرابي الجلف ..
اذ يقول وهو يشكو ظلم الحظوظ
تركت عيالى لافوا كه عندهم

وعند ابن عمرو سكر وزبيب

حقا انى أغبط قوما يجدون السكر والزبيب واعد ذلك ..
نعما - انها ضحكة اضحكها ولكنها لا تبسط انقباضا بل هى ..
باردة كهذا الشتاء تذهب بالنفس - انها ضحكة اليأس ..
٢٣ يناير - اليوم صحو وهو من الأيام النادرة فى هذه
الشهور - إن الحرارة حياة فأقبل ايها الحر رحمة بأمثلنا ..
لقد مر على الناس وقت كانوا فيه أكثر تسيحا لله وذكر الله
لنعمه وفضله - إن قدماء المصريين عندما قدسوا الشمس ..
لم يعملوا أكثر من أن يسجدوا اقرارا بنعمة الخالق الجليل ..
واكن عقابهم لم يدرك أن بعد الشمس إله .

إن الإنسان لا يستطيع ان يشعر بمقدار فضل الله ..
عليه شعورا اعمق من شعوره بذلك اذا رأى الشمس طالعة ..
فأنه عند ذلك يرى فضل الله مسوسا .

مأجل السماء الصافية والريح الهادئة في هذا السكون
الذي يحيط بي في هذه الحديقة وإن الحقيقة لتظهر للإنسان
بجردة في مثل هذا الوقت الذي لا يشغل الذهن فيه شاغل
وتكون فيه النفس منصرفة عن التفكير في الحياة ومظالمها.
هنا أرى شيخاً كبيراً تقوده ابنة لعلها حفيدته وهو ينادى
طالباً إليها أن تسقيه فأسرعت إليه مارة على وأنا جالس
فتبينت وجهها فإذا هو جميل التقسيم فلها عينان سوداوان
لكنهما غائرتان في عجريهما ووجهها صافي البشرة ولكنه
أصفر باهت وانفها مستقيم جميل وفمها مليح ولكنه منقبض
قبضة تدل على تفكير قبل أو أن العقل - حقانها فتاة مليحة
لولا صدأ الفقر الذي يعلوها - ماذا جنت هذه الفتاة حتى تنشأ
نشأتها تلك ؟ فإن كل مظاهرها تدل على قوة ولو صح أن الفقر
نتيجة ضعف لكانت هذه الفتاة من أضعف الفتيات ولو كان
هذه مغالطة دبرها انصار الشره والدناءة أرباب الغنى - أنهم
يقولون أن الغنى ما اغتنى إلا لقوة فيه وأن الفقير ما افتقر
إلا لضعف عنده - ما أغرب قولهم هذا ؛ ولكن لا ؛
أنهم صادقون غير أنه يجب قبل تصديقهم أن نفهم معنى

مايسمونه الضعف ومايسمونه القوة .

أنا لو فهمنا من هو القوى في عرفهم لعرفنا انه ذلك
الجامد الشره الوقح البخيل القاسى الذى لا يتردد امام شىء
فى جمع ماله . وان الضعيف هو ذلك المتواضع الشفيق الكريم
الذى لا يرى فى العالم شيئاً أعظم من الحب والايتار .

٢٥ يناير - عاد السعال لأشى اشد مما كان وقد زاد
الى ضيق المنزل الذى انافيه فهو مظلم ونفسى تحب النور
وهو بارد وانا احب الحرارة وهو اؤدها كدو صدرى لا يتلى
الا من الريح الثائرة وهو ضيق وروحى لا يسمعه الا الفضاء
الفسيح - ما أحب الفضاء وهواءه وشمسه ونجومه ! انى لو
كنت فى العالم وحدى لما ضنقت بحياتى - بل لوجدت فى
شدتها شيئاً من اللذة لأن الانتصار على المشقة نوع من
دلائل الحياة وكل ما يدل على الحياة لذيذ . ولكنى مثقل
بهموم من أجل من احب . حقاً انهم لا يظهرون لى الماعير
انى لا انسى آلامهم لحظة - فهى تحت نظرى ماصحوت
بوهى مخاوف احلامي اذا نمت .

٢٨ يناير - ما احب ذلك المنظر الجميل ! نحن فى الشتاء

ولكن هاهو الزهر منشور يانع في حدائق الجزيرة كأنما
نحن في ربيع - أى بلادى انك نعم الوطن . ماأحب ذلك .
القطر المتساقط على وجهى الآن فهو مثل كف رطيب
يمسح جبينى المتقد - اليس هذا القطر بناتك يامصر ؟ - وهل
هذا الريح الذي يهب على صفحة وجهى غير انفاسك الحلو ؟
انني لايتم لى عيش حتى اشعر بكل ما فيك من حر وبرد
وحتى اذوق من كل مطعمائك التى تقدمين واشم من كل
ماينبت فيك وإن عاما لا اشرب فيه من ماء نيلك العكر
اولا اتنفس فيه من هواء خماسينك الحار لعام ناقص مبتور .
اى بلادى انى اكاد اغفر لمن ظلمنى من اجلك لأنك امانة
جميعا .

٢ فبراير - حدثتني نفسى غير مرة في هذين اليومين .
بأن اهلك نفسى . ولكن مهلا ايها القلب النزق الذى
لايفكر . هبنى قتلت نفسى . يا لها من محبة لنفسى اذ اخرجها
من الحياة تاركا ورائى قلوبا تتحرق ولا تستطيع أن تلحق بي .
حقا أن الذى يقتل نفسه مجرم ولكنى ارى في إجرامه غير :
مايرى الناس . فأنهم يقولون انه مجرم نحو نفسه وانا اقول انه

قد عمى في حب نفسه عن المغيره وان اجرامه واقع على من
يقون في الحياة بعده ممن يحبونه او يمتدون عليه . ليتنى
كنت وحيدا ؛ فأنى كنت استطاع عند ذلك أن اعمل
مابدا لى ، وأما الآن فلا أقدر على شئ حتى الموت الذى
أستطيعه لا أمالكه ، ولهذا فلا ترك هذه الافكار السوداء
وان العالم لا يزال به من الجمال ما يساعد على ان أنسى ما
أنا فيه من شقاء ، هذا نوار اللبلاب وزهر الفول فى بشرى
بالربيع الاول ، وها هو الربيع أبصره فى العود ، وقد جرى
فيه الماء ، وأراه فى الهواء ، وقد قل برده ، واره فى الشمس
وقد زادت نورا - يذ كرنى الربيع بأيام مضت - فأذ كر
مدينة (دسونس) إذ كنت صبيا في صفاء وسعة ، أجرى مع
اخى المحبوبة - أواه كيف انت الآن ايتها الحبيبة - نعم انها
صديقة صباى كانت معى وكنا نجرى كصغار المعز نثب من
مكان إلى آخر وننتقل بين الحقول اليانعة تحت ظل شجر السنط
إلى جوار التربة حتى اذا حان وقت الغداء ذهبنا الى الدار
لنلقى وجوها ضاحكة وقلوبا محبة . لقد مر ذلك العهد ولم يبق
الا ذكره وشتان بين حال كنت فيها وحال أنا غريق بها

فقد كنت خالياً ، وانا الآن شجى ، وكنت احياء وانعم بحياتي
وحرارتى والتذذ بما يقع تحت حسى ، وانا الآن أفكر ولا
احس بنعيم الا من الفكر والذكرى . وانا الآن فى ظامة ، وكنت
حينذاك فى نور لا أرمى بعينى الا الى النور . وقد كانت الآمال
فسيحة أمامى لا أكاد أشعر بقيد يمنعنى من السعادة ، وها
انا لا أجد فى نفسى أملاً .

أواه ! أنى احببت أن أنتقل بالفكر من وساوس
سودائى فاذا بى ارجع اليها برغمى — ان الشقى لا يستطيع
أن ينسى شقاءه ولو حاول .

٥ فبراير . لقد عاد البرد اشد مما كان واحسرتاه !
وقد سادت الظامة على الأرض مرة ثانية وانطبع فى نفسى
وكأنى بها مرآة تنعكس فيها احوال الطبيعة ولا تخطئ .

ما اضيق العيش رغم ما اعلل به النفس من الاوهام
فان كل ما قوله وانا بن الرياض آت عن الخيال لا عن الحقيقة —
وها هى الحقيقة الجاهمة امامى — إن أول شئ فى السعادة
أن يكون الانسان قادرا على العيش وهذا ما ليس لى .
رحمك يا بى فكأنى بك قد رميتنى وامى واخى . ولكن ما

أقصى قلبي اذ أقول ذلك عن ابني! أقول رمانى وانا اعلم انه اضطر الى ذلك اضطرارا؟ انه ججود منى ان أتكلم كذلك عن والدى - اصل حياتى ها، ها، ها، إني اخحك من نفسى . أقول « أصل حياتى » وهل هذه منته أو هى جنائية؟ لعن الله الفقر أنه كافر فلا أدع ذكر هذا ولا بك حتى أنام عن تلك الهواجس المؤلمة .

٦ فبراير . ارسلت لوالدى خطابا اسأله فيه عن رأيه فى تركى المدرسة لكي اعمل على القيام بواجب أهلى الى جانبه ولكنه ارسل اليوم الى يقول لى انه يغضب على لو فعلت . ولكنى ساعصى - عفا الله عني . وعفوا لك يا ابني . سأعصاك إذ لا أستطيع ان أتحمل سكوتى .

١٢ فبراير . زرنا اليوم المتحف المصرى انا وجماعة من أصدقائى وبينهم جماعة ممن درسوا تاريخ مصر القديمة درسا وافيا . وقد اخذوا يتناقشون فى عصور تلك الآثار وبقارنون بين بعضها وبعض من جهة الصناعة والجمال والقيمة . أما انا فدخلت الى ذلك المكان وكأني فى حلم لا ينقطع . فلم التفت الى شئء بعينه ولم انصت الى قصة أثر ولا الى شكل

تمثال فان معنى آخذنا بالنفس استولى على عقلى - فكأنى بدهور
 مضت قد تمثالت جميعها أمامى صائحة (كذا) - لقد كان
 الناس ثم زالوا ونحن الآن كائنون ثم سنزول .
 وقفت بجانب جنة رمسيس الا كبر . وكأنى به يتنفس .
 ثم تصورته اذ كان شابا تملؤه قوة الشباب وهو على جيش
 كبير يقوده للشام حتى اذا ما أتم حربه عاد الى بلاده وقد
 ازينت وخر الناس عند لقياءه الى الذقون . ثم تصورته وهو
 فى قصره بين خدمه واهله تنتظر عيونهم اشارة منه لیسرعوا
 إلى تلبية ما يريدہ ربهم . وكم من نظرة له سببت موتا وكم
 من ابتسامة من فمه تطاحن عايتها المتنافسون ! ثم تصورته
 وهو فى موكبه العظيم والناس ينظرون اليه ، ولا يجسرون
 على الاقتراب منه . ثم تصورته وقد مات وتخيبت المخططين
 إلى جانبه بأيديهم السوداء حتى اسكأنى كنت اراهم يسبحون
 ويدهنون . ثم تصورت جنازته ولحده بين اناشيد وبخور
 ورسوم وفيما أنا فى ذلك اذ صحت عندما دطانى صديق للسير
 إلى مكان آخر فنظرت فرأيت أن ليس أمامى إلا جثة بالية فى
 بيت من الزجاج أنظر اليها ثم أسير ويجى غيرى فيرمقها كذلك

ثم يمضى عنها . وهكذا الدهور تمضى وهكذا الاحوال تحول .
وهكذا يظن الناس أنهم ملكوا الأرض فاذا هم زائلون واذا
هى باقية - حقاً إن من فكر فى الحياة وجدها هينة حقيرة خادعة .
٢٠ فبراير . لم يظهر الى الآن شئ . يجعلنى أأمل فى
وجود عمل أستطيع أن احصل منه على كسب . وقد
ارسل لى والدى امس جوابا لمحت بين سطورهما خفياً
ولست ادري ماذا جد .

يجب ألا افكر اليوم كثيراً فهذا الجو لطيف قد عاد
الى الصفاء والجمال . وما أجمل الحقول اليوم ! فلا تترك كل
شئ لا تخلص نفسك قليلاً فأعيش ولو ساعات خلصاً من العمر
وما العيش إلا أن يترك الإنسان كل القيود الاجتماعية
التي خالقها الناس ليشقوا بها . قد يعمر الإنسان سنين طويلة
ولكنه لا يحيا فيها وذلك إذا كانت تلك السنين قد قضاهما
فى تفكير وسعى للمادة - فاذا أمكن الإنسان أن يعيش
كل عمره لا يفكر فى المادة عاش ممتعاً بكل عمره . اريد أن
اخرج وحدي الى الخلاء لكي افرج عن نفسي وذلك سعى
لتخفيف آلامى الدفينة - ولكن ما أشد حبي لنفسي ! وماذا

تفعل أمى المسكينة وهي مريضه وماذا تفعل أختى
المظلومة الجميلة وهي بعيدة عني ؟ لأحرمن نفسى تلك اللذة
التي هممت بقنصها تحت نور السماء حتى أقاسم أمى وأختى
اللهما - ولا كنت اذا أنا فكرت فى نفسى ونسيت
من أحب !

٢١ فبراير . لقد ملكت الإنسانية على الإنسان
حيوانيته فقد عزمت أن احيا وأخلى فكرى من مشاغله
فلم أقدر فنا أشقى الإنسان بما يسمونه رقيا وما أحسن
النسيان وارفقه بمثل - لأن الإنسان إذا لم يقدر على الخروج
من انسانيته خروجاً كلياً كان النسيان هو الوسيلة الوحيدة
لخلاصه من آلامه . فها دام النسيان !

لأفهم كيف يهنأ لفقير عيش إلا إذا كانت نفسه
ضيقة مظامة ولكن نفسى تواقة الى الصفاء والانطلاق
والسعة وما أشقاها بما تنوق اليه - إن صاحب الفقر المعوز
إنما يقدر أن يحيا إذا تمت فيه قوة واحدة وهي القدرة على
الخضوع . وويل لمن لم تتم فيه تلك القوة فإنه يكون أشد
المخلوقات تعاسة - مثلى .

٣ مارس . لقد تنتح الربيع وأطل من زهوره وغصونه
وتردد في صوت الزرزور وجرى في عروق النبات . ألا
يجل معه ربيع لهذا القلب الحكيم ؟

انا في انتظار خجاب والدى فاليوم ثالث أيام الشهر
ولم يرسل أبى ما اعتاد أن يرسله لى كل شهر ولعل في الغياب
خيلا . أن الخيال مبال ابدأ الى الوثوب والتفاؤل ولهذا
أجذنى أخادع نفسى عن سبب ذلك الغياب وأقول لها لعل أبى
قد وجد شغلا جديدا شغله عنا حينما وأن بعد ذلك الغياب
سعة غير منتظرة . ومن يدري لعل الله أراد بنا خيرا بعد
توالى الشدائد . أما أنا فقد ضاقت بوجهى وجوه الحيل
وتبينت وحدتى في ذلك العالم إذ لا أجد من يسعى معى أو
يقبل منى سعيًا . فلا أصبر ولعل الفرج آت من ناحية
اخرى

٥ مارس . لليوم لم يرسل لى أبى خطابه الذى انتظره
بصبر نافذ وقد بدأت اضطرب واخذت خيالاتى اتجاها
غير اتجاهاها الأول لأننى شعرت بالهوة التى تحت قدمى -
بالهوة السحيقة التى تهددنى بالهلاك فى كل ساعة إذ لا شىء

لى ولا شىء لمن معى نستطيع به أن نعيش فاذا منع مانع ابى
من ارسال مساعدته الشهرية المعتادة لم أجدا مامى مستنداً
اتكىء عليه . فلا صناعة لى ولا تجارة ولا قدر أن أكسب
واحصل على القوت من عمل ما . فانا عاجز كل العجز واذا
لم يسعنى ابى لم أجدا مامى إلا الاقتراض أو السؤال أو
النهب والسرقة . أما الاقتراض فن ذاق يقرضى ؟ وأما السؤال
فلا كانت تلك الحياة الذليلة وأما النهب والسرقة فليس مامى
باب سواء . فلا حول ولا قوة إلا بالله ! انه لم يبق يدي وبين
الاجرام إلا مرتبة واحدة .

لأصرف الفكر عن تلك الهوة ولينز الموت قبل ذلك
الوقوع ولأكن إذا زار فلتكن زيارته لمن أحب معى . فهو
أهون حظ نلقاه جميعا .

مساء اليوم . جاءنى كتاب والدى الساعة وباليته ابطاً
حتى صباح الغد . فأن الليل مقبل وكيف تحمل ظامة
الليل ووحشته مع ظامة ماجاء بالخطاب ؟ لقد كنت فى
انتظار ذلك الكتاب قلقاً ضجراً ولكنى الآن حائر يأس
وما مرارة إلا بعدها مرارة أعظم .

لقد كنت اندفع مع الأمل فتوقعت أن التأخر بشير
بفرج مقبل تمكن فيه الحياة واقدر فيه على الكفاف ،
ولكن ذهب الخطاب بكل أوهامي فأظهر لي أن تأخر أبي
عن عذر لا عن شغل .

رحمك يا والدي ! لقد كنت أقول اني أفضل الموت
على السؤال أو الاقتراض وكنت أقول إن الاجرام أقرب
إلى من ذلك فكيف تريدني على السؤال لنفسى وان معى
ولك ؟ أأقف امام خالى سائلا ؟ ما أمر تلك الحياة التى لا يجد
الحى فيها القوت ! إن مثلى ومثلك يالبنى (عفا الله عنى)
ومثل من معى - انا جميعا عاجزون عن البقاء فى النضال
هذه الحياة فانمت وليبقى الذين يستطيعون البقاء فيها قادرين .
لنمت جميعا وليبقى اهل الطمع واهل القوة واهل الجلود
واهل السعى لأنهم يقدرون على البقاء فى النضال . لنمت !
لنمت ! لنمت !

٦ مارس . للآن لم اعمل شيئاً وأنا حائر بين الموت
والذلة . نعم ولو كان الأمر قاصراً على تفضلت الأول ولا شك
فان خالى لا يعلم للآن عنا إلا أننا نعيش مستقلين على ما يرسله

لنا والدى ولا يعرف مانحن فيه من شدة فماذا تكون
نظرته إلى ، وهو مثل الناس ، إذا علم مانحن فيه من شقاء ؟
وإني للآن لم أخبر أمى ولا أظن أنى سأخبرها خوفاً عليها .
ربّ قونى واهدنى فانى لا أستطيع السير وحدى - وأبقى .
اللهم على إيمان أضن به وأخاف ان تزعه تلك العواصف .
كيف قسمت الحظوظ بين الناس إن كنت قسمتها
لهم - إن الناس يلقون النعمة عليك يامولاي تحاسداً
من تهم ولكى يلقوا على عقول المحروم غشاء وفي يديه
قيداً . هنا قوم يموتون جوعاً وهناك قوم ينعمون وتمرضهم
البطنة . وهل أنا وامثالى لا نستحق عندك إلا ما وهبت لنا ؟
وهل بيننا وبين أهل اليسار والترف كل ذلك الفرق عندك ؟
كأنى بقوم الآن يجرّرون الذبول على البسطة من صوف
وحرير ويأكلون فى ليلة ما لو جمعت فضلاته لكفت عائلتى .
المسكينة شهراً ويشربون ما إذا بيع سؤره لقام بقوت دهر .
لقوم يموتون على الطوى . ولكن ماذا يفيد صراخ
والناس لا أمل فى شفائهم ؛ ليتنى أستطيع ان اخرج صرختى .
هذه فهد صروحا قامت على زفرات البؤساء ومدامع اليتامى .

وعظام الصرعى ودم القتلى .

أواه ! فلا سكنت إذ لا أقدر على شيء .

٧ مارس . لم أذهب بعد إلى خالي (على) فلا أقم الآن .

لقد كنت أقول إن المادة ليست بشيء . كنت أقول هذا وأنا سائر في الخيال وسط الطبيعة الساكنة . ولسكنها أنا . أرى أن الإنسان نفسه مادة وأن المادة لها كبرش في الوجود . إن الحقيقة شيء والخيال خيال - وكفى .

مساء اليوم . ذهبت إلى دار خالي (على) وصعدت على .

السلام ثم عدت ولم أقدر أن أكلمه في شيء - لأنني أخذت اردد لنفسى ما يخطر على بالي . فبه رفض ان يساعدنى مع شأى بقدرته - فإذا أكون قد جنيت ؟ اللهم الاّ خسارة عظمى اذا كشف لى الحق عن خسة رجل من اهلى . فنفضت أن أبقي على الغطاء ولا أبصر ما تحته خوفاً ان تكون الحقيقة بشعة كما تعودت أن أراها . فلا ألمس المساعدة من ناحية أخرى .

٩ مارس . سمعت وظهر لى ما لم أكن متحققاً منه مثل .

تحتفى الآن وذلك أنى لا أصلح لعمل ما . وماذا أفادنى عمر .

قضيته في الدرس؟ إن هي إلا خيالات وأوهام يسمونها
تربية ولعن الله تلك المدنية الكاذبة. أين لي أن أكون
متوحشاً أعرف كيف أضرب بسيفي واري بسهمي وأحصل
بذلك على قوتي. مرحى للمدنية التي تعلم الشاب كيف يموت
جوعاً!

وقد اتاني اليوم من ابني خطاب آخر يسألني عن علة
ابطائي عليه وكم يوماً أبطأت؟. وبلى — فلا عزت مع حاجة
ولو غلط الانسان نفسه. واذا كنت لا أقدر على العمل، فلم لا
انزل بالنفس على حكم الفقر والعجز؟
نعم اني لا احسن شيئاً — حتى السلب الذي اتحدث
به — لا أحسنه بل لا أعرفه ولا أقدر عليه فهو يحتاج إلى
نفس غير نفسي.

١٠ مارس. ما اليوم خيراً من الأمس وقد زاد الأمر
شدة مرض أمي وازدياده. وقد شكوت إلى أخي (فهميم)
فاشار على أن أنتقل إلى منزل آخر — يشير على أن أذهب
إلى منزل فيه الهواء طلق والشمس باسطة بساطها — أي
أخي ان نفسي تتوق إلى مثل ذلك الذي تشير به ولكن

ما أظلم قيودي حفظك الله من مثلها .

مساء اليوم . عزمت بعد طول ترددى على مقابلة خالى .
(على) مهبها كلفنى الامر وذهبت اليه اليوم — والحمد لله إذ مازال
الخير فى الناس . وشكراً لك يا خالى . ما احسن بشاشتك !
ذهبت الى خالى العزيز وأنا متردد لا اكاد أرفع عينى .
إلى ما حولى وكان معه جماعة لم أتبين وجوههم لما كنت فيه
من الارتباك ثم هممت بالجوع وفعلاً بدأت ارجع حتى .
وصات الى الباب وأنا اتعثر ولكنى ذكرت الفشل وآخريته
وتمثلت اهلى وقد احتاجوا الى قوت لا يجدونه وتمثلت أبى .
وكأنه يمد يده إلى طالباً أن أقف بجانبه . فعزمت على السير
فى طابى ولو ضحيت بقاء وجهى . لسكنى عندما دخلت على
خالى ورجوته فى كلمة لاحظ ارتباكى وترددى فاهل بي
وهش الى حتى استأنست ثم تجرأت فهمست اليه بما أريد .
فأسرع الى التلبية وكأن عينيه تعذران عن انه لم يبادر بالجواب
قبل السؤال .

إنك قد جعلتني أحسن الظن بالناس قليلاً من أجلك .
يا خالى العزيز، فانا الآن أقول مازال الخير فى الناس . وجزاك .

الله خيرا فلا اظن انى أقدر ان أجزيك .

١٢ مارس . زاد المرض بوالدتي وماذا استطيع ان اعمل . وهاتيكي يداي مغلولتان وقد جاءني اليوم (فريم) وهويشير مرة اخرى بالانتقال من منزلي الى آخر . يشير على واعدته بالسعي والسكن لا اقدر على مصارحته بالحق . فهو لا يعرف . على انه صديقي المخلص - لا يعرف ما نأفیه من رقة الحال وأظنه لو علم الحق لا يعتقده . فلا أخاله يتصور أن صديقه الذي لم يشك اليه مرة ضيقاً من أشقى الناس وأشد هم يؤسأ .

١٨ مارس . جاءني اليوم رد أبي يقول فيه :

« وانامك ان السبب الذي من أجله طلبت منك الاقتراض مع علمي بثقله على نفسك يا بني ، ان عمك ، نفر الله له ، توقف عن الصرف ، عني هذين اليومين مع ما نحن فيه من حاجة إلى رى وعزيق . فيا بني اشكر خالك دائماً عني وقل له رب اخ لم تلده أمك . وأما انت فاعف عني إذ وقعت بك موقفا كنت احرص على الا تقفه ولسكن اظنك تلتمس لي الا عذار ، بدل الخنق على . وحفظك الله وقوالك يا بني » .

هاانا ارى الدهر يزداد عبوساً ولسكن لا بأس . فلعمرى

أنه قبيح بالمرء أن ينتحى أمام النوازل ولا بد من العمل ولو
 شق واستعصى السعى اليه في أول الأمر . انى كلما تذكرت
 أمي وأختي ذبت أسى فانهما يشتميان بضعفى . ولا تجدان ما
 يجد امثالهما من العيش . وإنى كما اذكرت ذلك شعرت كأن
 ماء مشاجا نزل على قاي فكاد يوقف حر كته وتأخذنى رعد
 من رأسى إلى قدمى فكاد ترهق لها نفسى وأحس كأن
 لهيبا يتقد ما بين عيني . إن حنقى على العالم اقل من حنقى
 على نفسى لعجزها وعلى تربيتى التى تعانى صناعة واحدة —
 صناعة الانكال واليأس .

٢٠ مارس . انه السحر فى هذا الفضاء : أخرج اليه ونفسى
 تتمزق الما وغما فما يلبث الحزن أن يذوب كما يذوب الضباب
 امام الشمس . فان تلك الانفاس التى كان ينفجر بها صدرى
 استحالت الى زفير عميق لا يمزق الصدر بل يروح عنه وهذا
 الحزن الكامن الذى ظل يتردد بين جنبى قد سال اليوم فى
 تلك العبرات التى ذرفتها ، وتلك الحمى التى كانت تشتعل فى
 جبينى قد ذهبت مع الانسيم البارد فعدت بعد ذلك الى الشبات
 والأمل ، وكل هذا دلالة قاطعة على أن الهموم أعراض من

خلق الإنسان وليست طبائع جوهرية .

رأيت اليوم امرأة عمياء تجرها طفلة صغيرة بالية الشياب ،
وكنت عند ذلك مهتمة لما أنا فيه — فتأملتها وهى سائرة مع
تلك الفتاة ، وهى تنادى صارخة الى الله تطالب منه قوتاً ،
وفى نداءها من الثقة بالله ما لم تزعه عواصف الفقر . هذان
شبحان من اشباح الحياة وقفت انظر اليهما واعتبر ، فلقيت
فيهما ما زاد ألى ، وهنظر البؤساء عندى أجل ما يثير النفس
ويبعث فيها الالى لأنى أعرف أم الخوف من يوم يطاع
لايستطاع فيه الحصول على زاد . ثم اقبلتنا نحوى تسألانى
عطاء مما أعطانى الله . نعم ، فانا من المنعمين فى نظرها ،
فترددت أعطى مما أنا محتاج اليه ام أضن به ، ولكننى لم
أتردد طويلاً والحمد لله اذ وجدتنى استطيع قوت يومى .
ومن يدرى لعل هتين الشقيتين تبيتان على الطوى لو لم
أجد لهما ببعض مامعى

٢٤ مارس . لا ازال اجد راحة فى نفسى من أثر الايام
الماضية التى قضيتها فى المهواء الطلاق ، فلا ازال أذكر الليل
البهيم الجليل ، والنجوم العالية تلمع به ، ولا ازال أتخيل النيل

وهو يمجج مع النسيم، ويرتطم بالشاطئ، لا تقيده قيود، ولا ازال اتصور تلك العوالم في علائها كأنها تنظر إلى أرضنا. نظرة الكبير العارف إلى الطفل الجاهل وكأنى بها تبسم سخرية كلمات أهل الأرض كيف يتطاحنون على السفساف ويتقاتلون على أحقر الأشياء - ألم يقض الانسان دهره طويلا في نضال وعراك على معدن أصغر من معادن الارض. لا يفرق عن سائر الاجسام إلا كما يختلف جسم عن آخر؟ إننى كلما أعدت لنفسى تلك الصور ذهب عنى كثير من عناء هذا العالم واحتقرت الماديات التى احزن لحرمانى منها. كل ذلك الحزن الذى يكاد أحيانا يذهب بنفسى - حقا ان السعادة تكون أقرب إلى النفس إذا تجرد الانسان من مشاغل المادة وخلص إلى الذات البسيطة لذات الحياة الطبيعية ومسرات الهواء الطلق. وقد رجعت فى كل ليالى السالفه بعد هذه الخيالات فلم أستطع النوم فعمدت إلى الديوان الذى كنت اشتريته وأخذت أقرأ بعض مابه وحبذا هو من رفيق فإنه لا يترك شيئا أشعر به لايصوره صورة واضحة جليلة - وقد وجدت به قطعة صغيرة أعجبتنى لأنها

توافق شعورا في نفسى وهأنا اثبتها هنا
الأرض وضّاءة الجبين
والريح في رقة الحنين
والشمس محجوبة وكادت
تصافح الافق باليمن
والغيم أسرابه تهدى
ووشها معجز الفنون
فحرة الورد في اصفرار الـ
أقحاح من فوق ياسمين
والماء صاف له خير
كهمسة السر في سكون
والطير ما بين مستعيد
مرجع سبعة الأين
وبين جذلان ثائر الله
وبين مياسة الغصون
لمثل هذا الجمال سحر
يذيب من سورة الشجون
* *

وبني من الهم ماتولى
 ظلامه في سواد قاي
 سرى بمجرى العروق حتى
 يضيق بالنفس كل رجب
 أظل في حيرة سقيما
 وليس في الخافقين طي
 حتى إذا ما شهدت هذا الـ
 جمال يوما رأيت حسبي
 نسيت في ساعة شجوني
 وعاد حيناً الىّ لبي
 وأسفر القلب واستحال الـ
 أمر من همه لعذب
 وليس هم الحياة إلا
 وليد سعى الوري لكذب
 يؤم هذا الوري سرايا
 يزيد بعدا بكل قرب
 * * *

خبرت تلك الحياة ما يه
 من حالي الحزن والسرور
 فدارني حلوها كؤوسا
 وذقت من مرها المرير
 وفزت من لذة بما فا
 ت كل مستمتع جسور
 وعشت أيامها ملاء
 كأنما عشت في دهور
 * *
 لنسمة الريح في صباح
 والشرق في أول السفور
 وروثق الزهر في رباه
 يدل في لونه الطهور
 ولؤلؤ الطل في غصون
 تهزها سجمة الطيور
 لذائذ النفس في حياة
 جهادها آلة الغرور

٣٠ مارس . ما أكثر تردد الانسان وتغيره ! فهو ساعة
يحتقر الحياة ومادتها وفي أخرى يحس بقيوده الثقيلة فيتغير ،
حتى لقد بدا لي ان كل شيء في العالم نسبي وان الانسان
يرى الاشياء بحسب حالة نفسه فاذا كانت نفسه سعيدة
رأى الاشياء كلها طيبة صالحة وإذا كانت نفسه شقية لم
ترقه الاشياء جميعا - فليس هناك شيء جميل في نفسه ولا
شيء قبيح في ذاته والعبرة بحالة نفس الانسان .

ما أحسن الزهد لو كنت في العالم وحدي . فان نفسى
لا تتطلع كثيرا الى لذات الحياة لطول ما عودتها الامتناع
عنها والخلاص منها ولكن معى غيرى ولا يستطيع ان
احملهم على مثل ما احمل عليه نفسى - اننى أرى أمى في مرضها
بوضيق ذات يدها وقد كانت ربة السعة والكرم -
وارى اختى ولا أمل أمامها وقد كان أفسح الامل
ضيقاً في عيننا لأجلها . فكيف ازهد في الحياة ومادتها
ومعنى مثل هاتين . ولكنى اكاد افقد الثقة بنفسى إذ أقول
كل يوم لنفسى هلم للعمل ثم لا أجذنى أتقدم خطوة في
سبيله . هل سد كل طريق للسعى والعمل ؟ وإذا كان كذلك

فإن اللصوص والسفاك أتعلم منهم كيف يحصلون على رزقهم
وأكون مثاهم؛ فإن المجتمع إذا كان لا يشعر بألمى ويتركنى
للموت غير مبال فإن أكون أكرم منه بل لا بد أن أكون
مثله جودا وجشعا وقسوة.

لكن مهلا أيها الخيال أرانى قد بعدت فى تصورى
وهياجى - فلابدأ بالسعى إلى العمل، ولا أظن المجتمع على
ما يصوره الخيال الخائق من الجود والقسوة، فكل عامل
فيه محال لو عرف السبيل الموصلة إليه .

٣ ابريل . سعيت وسعيت وسعيت وارجع وفى قلبى
جرح دام من الخيبة وزاد يقينى فى قلة صلاحى ونقص
عدتى فى انضال الحياة وياليت لم أقض تلك السنين فى درس
لا يفيد بل يقتل النفس ويطفىء نارها . وقد بدا لى أخيرا
أن أطلب من أخى (فهم) أن يبحث لى عن عمل وذكرت
له شيئا من حقيقة أمرى . ثم أرسلت إلى أبى أخبره كذبا
اننى بخير - ولا بد أن ينتهى هذا العذاب يوما ولو بعد حين
فان للحياة آخرا .

٦ ابريل . إن (ش) بك مدين لوالدى ببعض المال ولكنه

لا يعرفني وأخشى إذا سألت أبي أن يرسل طالبا ماعنده أن
يأبى - إني أعرف أنه يأبى لو سألته ذلك لانه لا يضر في
العالم أحدا إلا نفسه وإيانا، سامحه الله وغفر لي، فلاذهب
اليه أنا.

مساء اليوم. أرجع الان من عند (ش) بك ولكن
بحفي حزين ولقد ذهبت اليه وأنا كالحموم لما كنت فيه من
الاضطراب والحجل، فلم استطع قولاً وأى عذر أقدمه له؟
وكيف يعتقد انى حقيقة ابن دائنه؟ ولو كنت فهل
جئت باذن من أبي أم أنا آت من قبل نفسي؟ وقد لحظ
الرجل عند مارآنى انى مرتبك مضطرب، ولا أظنه إلا حسبنى
شاباً من القتلة جئت لأؤذيه، فتواري منى ودخل بعد أن
سامت عليه متاعماً، وكان ينظر على كتفه إلى خاف وهو
مسرع في مشيته كمن تتبعه أفعى لا يريد أن يقف خوفاً من
لحوقها به. وأعجب شئ أن الرجل لم يصرخ طالبا النجدة،
ولا أظن إلا أن الخوف هو الذى أدهشه عن التفكير في
ذلك. ها، ها، ها. إني أضحك برغى عند ما تذكر هيئة
الرجل وهو ممن يسمونهم العضاء، إذ يولى متمثراً خائفاً

ويتركني وراءه واقفا والكلام على طرف لساني . لقد هون
على فشلي أني كسبت شيئا إذ رأيت مظهرا جديدا من مظاهر
الناس . مسكين أنت يا بك : إنك لن تنام الليلة ، ولو نمت لرأيت
ذلك الشاب المضطرب في منامك ما سكا بيده خنجرا يهوى
به إلى صدرك الأجو ف ، مرحى مرحى ، لقد عرفت أخيرا
أن وجهي قد يتخذ شكلا مخيفا ، وأنني أقدر على إيقاع الفزع
في القلوب ، وهذه خطوة لا بأس بها إذ تبين لي أنني أقدر على
السعي حراما في سبيل الرزق إذا أنا عجزت عن وجود الحلال .

٩ ابريل . لا يزال لي ما أشكر الله عليه كثيرا . فأمن

تتحسن حالها يوما بعد يوم وقد اوشكت أن تقوم من
مرضها . ولعل ببطء تقدم صحتها لقله الدواء وسوء الطعام ،
ولكن قوة بنيتها تساعد على مكافحة المرض والحمد لله .
أتى كلما تذكرت خيبتى عند (ش) بك أقول لنفسى اتى
قصرت ، لانه كان الواجب على أن أكون أصفق وجهها وأكثر
إلحاحا ، فبدل رجوع خائبا كان يجب على أن أسير حتى أرغم
الرجل على سماعى ومعرفة ما جئت له ، والحجل طالما أضع
على صاحبه فرصا ، والحق أن أصفق الناس وجهها أكثرهم

نجاحا في هذه الحياة .

١١ ابريل . سرت اليوم في الطريق فوجدت جماعة
استرعوا نظري، وهم فقراء، بعضهم مستلق إلى جانب الطريق،
وبعضهم جالس يشكو وبعضهم سائر . وهم مختلفو الاشكال
والعاهات، فمنهم الأعمى ومنهم المقعد، ومنهم المريض بالرمم
والمرمى بالزهري والأبله . كل هذه كانت صوراً أخذت
أستعرضها حتى انتهى بي السير إلى شاطئ النيل كمادتي،
فنظرت إلى اللجة المضطربة وكانت نفسى تنوق إلى أن تغوص
في تلك اللجة وتتخلص من الحياة ، والحق ان هذا الشعور
يعاودنى كلما وقفت بالنيل ، فكأنه أصل حياتى ويريد أن
يعود اليه بعضه فينضم إلى أصله ، وأخذت عند ذلك أسترجع
في الذهن ما رأيت ، وأسأل النفس عن السبب في شقاء هؤلاء
الفقراء الذين مررت بهم، فوجدت أنهم جميعا يشقون بجزيرة
غيرهم . وأى ذنب للأبله في بلهه أو لصاحب الزهري الموروث
في دائه أو للفقير في فقره أو للأعمى في عماءه؟ وأخذت استطرد
من فكر إلى آخر أقاب الفروض لعلى أجد من بينها فرصا
يقنع نفسى الحائرة ونفسى على معنى ظواهر تلك الحياة ، وعند

هذا انتبهت إلى عود صغير تتقاذفه أمواج النيل، وكان هذا العود بمثابة وحى هبط إلى، فاجابني عما سألت، إذ رأيت فيه مثلاً للناس في تلك الحياة، قذف فيها بغير إرادته، وخلق فكانت الحياة عليه واجباتجب تأديته على أى حال. وما تلك المظاهر من غنى وفقر وصحة ومرض وسعادة وشقاء إلا أعراضاً لا قيمة لها ولا عبرة بها - لقد تبين لى منذ رأيت ذلك العود أن الحياة غير صعبة الفهم، فهى ميلاد واجب ثم حياة واجبة ثم موت واجب .

ايها النيل العزيز، لقد كنت صديق احزانى وانت الآن معلم والموحى الى نفسى بأسمى المعانى ، والمجيب على أخفى الأسئلة وأدقها .

لقد جاني الليلة خطاب من صديقي فريم يقول لى فيه .
انه اوشك ان يجد لى عملاً فعسى ان تصدق الاحلام .

١٨ ابريل ما أشد سرورى بمكسب قليل حصلت عليه ، فلقد اكتسبت اليوم جنهات قليلة أنا بها أشد اغتباطاً من سرور اكبر الأغنياء بآلافه - إن عود الكبريت الضئيل إذا أضاء فى حجرة مظلمة تنفس فى .

ظلمتها فأوضح جوانبها، ولكن المصباح القوي اذا سطع نوره في الظهر الأحمر لم يؤثر شيئاً. فلأهناً بذلك المكسب الضئيل وليكن في سواد أيامي شعاع من نور.

وقد جاءني هذا الريح عن طريق صديقي فهم، ولعله شعر من طمبي له ان يبحث لى عن عمل، أنى محتاج إلى شىء من المال، فأحب أن يسرع بالمساعدة ما استطاع — إتنى أعلم أنه لا يجب شيئاً أكثر من مساعدتى ولا يمنعه شىء أن يقدم لى ما يجب من المساعدة إلا خوف إيلا منى . ولا أظنه ألا قدأتى إلى بمساعدته عن طريق يشعرنى بأنى أنا الذى قت بمخدمة له . فانه رجائى أن أقوم ببيع بعض قمح من زراعة أبيه، وقال لى ان أباه طلب منه أن يبيع له ذلك القمح مثل (سمسار) ويأخذ نظير عمله جزءاً من الثمن، وطلب منى أن أبيع القمح بداء وأشاركه فى ربح الوساطة — ولم أفان إلى إدراك حقيقة صنع صديقى إلا بعد أن تمت الصفقة وأخذت قسطى، لأن فرحى بالعمل والكسب أنسانى أن أفكر فى شىء، ولكن لا بأس بذلك فأنا مغتبط بما كان، وهلم إذن إلى صديقى النيل وإلى الفضاء المتسع حيث اعتدت الذهاب.

في ساعات ضيقى ، لأن الحفاظ يوجب على أن أشرك في
سرورى من أشركه معى فى أحزاني ولو كان جماداً . وسأذهب
غداً لأشترى بعض الملابس لأمنى وأختى فأدخل عليهما
بعض السرور .

٢٠ ابريل . عدت من مقابلة أخى فهم قرب المغرب
وقد عرض على آراء عديدة تتعلق بالعمل الذى سألته أن
يساعدنى فى إيجاده . والحق أن كل أرائه سديدة ، وهو يفضل
عملاً كتابياً فى دائرة لصديق والده (ع) بك بقرية دسونس ،
وأنا معه فى ذلك . إننى كنت أحب فهم حب صديق ،
ولكننى الآن أزيد على ذلك الحب شيئاً من الأعظام لأنه
ناصر لى وقائد لخطواتى . وقد رأيت يفسكر فى ذلك الشأن
تفكير رجال خبروا العالم وما كنت أحسب فيه تلك القدرة .
ولا غرابة فى ذلك فهو مخالف لى من كثير من الوجود ،
لأنه يحيا مع الناس وأحيا أنا أكثر أوقاتي فى الخيال . ولقد
تركته والأمل ينتعش بنفسى .

رأيت وأنا عائد الى المنزل شيخاً كبيراً من أفقر الناس ولكنه
نظيف الملابس على قدمها ، جميل الهيئة أبيض الوجه أسمر الوجه

وعلى وجهها ابتسامة لاتفارقها، وكان جالسا ورأى في (الترام) يحدث جيرانه حديثا بسيطا ويضحك من حين الى آخر ضحكة خالية من الهم . فر الترام ببائع (بالونات) حمراء صغيرة ، فناده واشترى منه اثنتين واعطاه ثمنهما قرشين وهو يقول « ان لى ابنين يطلبان كل يوم أن أشتري لهما طيارتين حمراوين . وجبر الخواطر على الله » ثم ضحك وضحك كل من بجانبه . وضحكت معهم ملتفتا اليه . فقال له أحسد الجلوس ولكن الرجل غلبك ، فأن ثمن هاتين قرش واحد ، فضحك الرجل مرة أخرى وقال له « دع الرجل يكسب فالحسنة الخفية فى البيع والشراء »

نعم ايها الشيخ انك تملك قليلا من مادة الدنيا، وانت بها كريم، وهذا سر انطلاق نفسك وخلوك من الهم - حفظ الله عليك هدوءك، وياليتنى كنت مثلك، أو ليتنى أقدر أن أعود الى بساطتك وقناعتك.

٢٣ ابريل . قد تم عزمى على ترك المدرسة برغم امي ورغم ابى لأنهما يأتيان . غفر الله لى . ولست آسف على تركى لدروس لم أجد منها معينا على الحياة عند الحاجة ، فان غرض التربية .

أن تمد الناشئ ، للحياة والسير فيها ، فإذا هي لم تف بهذا الغرض كانت ضياعا للوقت . اننى اشكر كيا عزيزى (فهم) وجزاك الله عنى خيرا ، فأنى لا أقدر أن أجزيك إلا باخلاصى ووحى - إن كان لهذه العواطف قيمة .

٢٧ ابريل . جاءنى اليوم خطاب من (ع) بك لكى احضر اليه وابتدى ، على كتابا أميناً فى (دأثرته) ، وإنى مسرور بذلك العمل من وجوه عدة بين مالية وغيرها ، ولا سيما لانه بمدينة دسونس التى أحمل لها أحسن أثر فى نفسى من زمن الطفولة ، ولأنى سأكون هناك قريباً من محل أبى . فاستطيع أن أزوره أحيانا وأفهمه حقيقة الحال بنفسى ، ولعلنى أفلح فى إقناعه بأصابة رأى وخطى . وسأرسل له هذه الساعة خطاباً لأعلمه بأننى سأسافر قريباً لذلك العمل . ولا أستعدن لملاقة غضبه ثابتاً .

١ مايو . حادثنى صديق (فهم) بالأمر حديثاً طويلاً . وهو يأخذ على أنى قليل الشكوى ، لا أثق بأحد حتى به . وهو صديقى القديم ، وقال لى « كيف تسكت طول هذه المدة الماضية ، فلا تقول ما عندك لصديقك الذى تعلم ما يحمله

ملك؟ وهل من الصداقة في شيء أن أجهل داخل حالك هذا
الجهل، وألا تبوح لي بسر أو تشكو إليّ ألماً من آلامك؟
إن تلك قسوة منك وقلة ثقة. «أى أخى، كيف تقول أنك
لا تعرف داخل حالى؟ ألا تعرف نفسى وميلى؟ الست
أفضى اليك بما ينبض له قابى وتتحرك له عاطفتى؟ البس في
ذلك كفاية لأن تكون على علم تام بأخيك؟ ولم أذن
ازعجك بذكر آلامى المادية ووصف حاجتى ورقة حالى؟
اننى كلما صنت بما بى شكوت الى الفضاء والنجوم، ولا
أزال اردد طرفى بين هذا النجم وذلك، حتى يرتدالى بعد
قليل وقد تبينت حقارة تلك الحياة وهو ما فأسلو بعد ذلك
سلوا كبيراً، ولكنى إذا شكوت ذلك اليك أيها الصديق،
لم تستطع أن تبعث فى نفسى ذلك الشعور ولا تلك السلوى،
وكنت أنا سبباً فى إيلاامك عند سماع ما أتألم له. فما فائدة
شكوى لا أثر لها إلا إيلاام من أحبه؟ إنى رأيت أن أكثر
الناس شكوى أكثرهم حباً لأنفسهم.

٣ مايو. ندأ ميعاد السفر الى محل العمل، وأنا داخل
إلى ذلك الميدان بنفس آملة وليت شعرى ما المستقبل؟...

أقول ليت شعري ما المستقبل وأنا أ كاد أضحك من نفسي ،
فان الإنسان لا يزال ينظر أمامه إلى ذلك المعنى المتجدد
ولا يفكر لحظة في أن الحياة كلها بعض دورات من
سير الفلك .

وقد مررت اليوم بجماعة من المتسولين نياماً على
جانب الطريق ، وهو طريق من أكثر الطرق ازدحاماً بالناس ،
حدث أثناء سيرى أن مرت إحدى المركبات بسرعة تحمل
رجلاً يلوح أنه من الكبار مالا ، فلما قربت المركبة من أحد
النائمين أبطأ السائق خوفاً أن تمر العجلات عليه لضيق
الطريق ، فصاح به صاحب العربى مهدداً شتماً ، فالتصق النائم
بالحائط والتصقت أنا بها كذلك حتى مر ، وسمعتة يقول ،
« وماذا لو مرت العربى على ألف من هؤلاء فتستريح منهم
الدنيا » .

نعم أيها العظيم أحسنت ! فان ذاك كان يريح ألفاً من
الخلق من عناء حياة يقاسونها . ولكن من ذا الذى سلب
هؤلاء راحتهم وطردهم من بيوتهم وشردهم كذلك إلى
جوانب الطرق ؟ وأين ذهب قسطهم من الرزق وهم خلق

كباقي البشر لهم حظ من رزق الأرض ؛ إن هؤلاء البؤساء
ما سلبوا ألا ليجتمع سلبهم عند أمثالك ، وما طردوا إلا
ليفسحوا لقصورك ، وما شردوا ألا لأنك تأخذ من ثمرات
الأرض أكثر مما لك ، فأنت أنزلتهم قسراً عن أقواتهم
وكسوتهم ومساكنهم .

أريد أن أبعد عن هذا البلد بلد المتناقضات — بلد
الغنى الفاحش والفقر المدقع — بلد الذبول المجررة والأسمال
البالية ، بلد التخمّة والموت جوعاً ، والترف المفسد والكد
القاتل . ولعلنى أجد الراحة في بلد سواه .

٥ مايو . هأنذا الآن في مدينة دسونس قرير العين ،
فأختي معي بعد فراق طويل كنت فيه يدمى فؤادي أذ
أراني لا أقدر أن أكون معها تحت سقف واحد ، لأن جدتي
كانت تأبى عليّ أن أنزعها منها . وهاهي أمي باسمة بعد
عبوسها الطويل وقد قويت بعد مرضها والحمد لله . وهأنذا
أرى أمامي التربة القديمة وأنا جالس على جانب معشب من
جوانبها ، والشمس مائلة الى الغرب ، والنسيم يتهادى من
الشمال جيلاً بارداً ، وورأى متسع فسيح من حقول الغلال

والقطن الجديد — هنيئاً لصاحب بضعة فدادين خالية من
قيود ويفاحها بنفسه ويعيش غنياً، يتمتع بالهدوء في ظلالها
يعيداً عن الترف والحاجة جميعاً، خالصاً من مفسد المدنية
وأدوائها.

لم يأتني بعد كتاب من أبي ردّاً على خطابي السابق —
سامحني يا أبي فلو عرفت الحق لعذرني وحمدت ما كان مني —
وأرى أن أزوره غداً لكي أكله وأوقفه على كل شيء تفصيلاً،
ولعل الحديث يشفي مالا تشفيه المسكاتبة.

٦ مايو . سرت اليوم راكباً من دسونس إلى مكان
أبي، فررت بالأرض التي أحمل لها في نفسي أجمل ذكرى .
ورأيت شجرة الرمان التي كنت أنام تحتها وقت الظهيرة،
وفوقها الزرزور يملأ الفضاء بصفيه الجميل وهو لا يرى
بين الفروع، وأسمعه كأنما أنا أسمع موسيقى من ملاك في
السما لا تبصره العين . ومررت بحقولها ولا يزال بعضها
أشعث أغبر طويل الحشائش وبعضها قد هذبت يد الفلاح
فاستعاض عن الخلفاء قحاً وقطناً . ومررت بالمكان الذي
كنت أزرع فيه الفول السوداني وأفلحه بيدي، وأنا صبي .

حتى إذا زاد الحر عدت بنفسي إلى المنزل فتتلقاني أمي
بالضحك وتأمرني أن اذهب لأنظف نفسي بعد عملي الذي
لا يليق بي — مررت بكل مكان في تلك الأرض وكان كل
شبر منها يثير في نفسي معنى وذكرى . ولكنني لم أقم بها
فإنها الآن ملك يد غير يد أبي ، فوالأسفاه ! وكفاني أنني
ملأت صدرى من هوائها وعيني من مناظرها . وما زلت
حتى بلغت المكان الذي فيه أبي ، وما أجمل مكاناً فيه أبي ،
ولكنه كان خارج المنزل حين وصلت هناك ، وهأنا اكتب
هذه الكلمات حتى يعود .

٧ مايو — اجلس الآن لأسقط دمعين — رأيت أبي
وكانما تركته من سنين وما فارقتة إلا أقل من عام . فقبلت
يده وما أحلاها من قبلة ، ونظر إلى نظرة مأوها العطف
والحب والأسف . وقد عرفت اليوم مقدار حبي له وكان
قد خفي عليّ حيناً — أنه أبي وهو مثلي وكلانا ضحية لنظام
فاسد في هذا المجتمع ، وما أجدرني بالاشفاق عليه . وقد
قابلني بغير ما كنت أتوقع ، فقد كنت أظنه ياتقاني لأنما
غاضباً ، ولكنه قابلني عاطفاً متهللاً . فذهب بكبر عبء

عن نفسى ، ويأوح لى انه راض عما فعلت . والآن استطيع
أن اضم ما أكسب على ما استطيع أن يرسل لى ، وسيكون.
ذلك كفيلا بحياة طيبة بعد طول أمد الضيق والعسر
وشكراً لله .

٨ مايو. أضاف صحيفة الى صحف الشقاء . فأن أبى عند
مألفيته أول مرة أول أمس كان يخفى عنى امرأ خطيراً ، ولعل
هذا سبب قلة غضبه على لتركى المدرسة . وهاقد تبيننت .
انى آلة للقضاء أسير معه لغرض سام يخفى على الناس . نعم .
فقد اصبح أبى الآن على وشك أن يترك تلك الأرض .
ولا يعلم الخطوة التى تلى ذلك الترك ، ولست ادرى . ماذا كان
يؤول اليه امرنا لولم يدفعنى الله إلى الرغبة فى العمل ، ويوفقى .
الى وجوده فى هذا الوقت - واغرب شىء فى الامر أن
عمى هو السبب فى ذلك ، ولو سمع أحد الطريقة التى اخرج
أبى بها من ملكه لحنق على مُخرجه كائنا من كان فما بالك
لو كان هذا اخاه الشقيق .

لقد كان أبى يملك كثيراً ثم دبس له الدهر ، فبقيت له
قطعة من الارض نحو افدنة عشرين ، وكانت ملكاً لأمن

ولكنها باسمه ضنا بكرامتها أن تنزل في معترك الحياة
 المادية، وكنا عند ذلك في آخر أيامنا في المرة الاولى في دسونس.
 فلم يدريو ما إلا وعمي يزوره ويعرض عليه فكرة الاشتراك
 معه في شراء ارض متسعة، وأخذ يؤثر في قلبه من كل طريق
 حتى رضى ابى أن يبيع ارضه ويدخل معه في شركة، واخذ
 ابى بعد ذلك يعمل جهده في الاصلاح - وهو رب الفلاحة،
 حتى اصبحت الارض جديدة بالفخر، وانتظرنا خيرها،
 وعند ذلك توقف عمى فجأة عن السير معه وأخذ يعاكس
 كل عمل يقوم في عزم ابى، حتى انتهى الامر بعجزه عن
 السير وحده، وضاعت نفسه من المعاكسة، وكره
 المقام على حال كذلك. وما كان اعظم سروره عندما ارسل
 له عمى يوما احد اصحابه يعرض عليه أن يشتري منه نصيبه
 في الارض. كل ذلك ولم يقل لنا ابى شيئا، ولم نعلم مما وقع
 شيئا، الا ان ابى كان يقلل مما يرسل لنا، فوقعنا في أشد ضيق
 كادت نفوسنا تزهق منه. ثم تمت الصفقة، وماذا حصل
 ابى من ثمن الارض؟ انه أمر مضحك مبك في آن!
 كان الاتفاق على اقساط ثلاثة، لم يدفع منها - إلا القسطن

الاول - ودفع بين حيوان نفق، وبين دين يحصله ابى واكثره
لم يحصل، ومحصول قدر قبل ان ينضج فلم يأت بما قدر له -
اننى اكاد لا اصدق نفسى، ولكن هذا هو الحق . ولم يستفد
ابى من قسطه الاول بشىء يذكر . واما القسط الثانى فلم
يحل بعد ميعاده، واما الثالث فن يدري انعيش حتى يحل
أجله ؟ فإنه بعد سنين خمس .

يالىت ابى لم يخبرنى بشىء، فانى لو بقيت على جهلى
لكنت اجد تعة فى الأمل الكاذب، ولكنى تركت الآن
الى الحقيقة المرة لا يخفف منها خداع مرفه .

١١ مابو . عدت أول أمس إلى دسونس، ولم أجد من
نفسى ميلا للكتابة مما مر بى من الغم فى هذه الأيام الماضية،
وتسأنى أمى عن سبب انقباضى، ولكن لا أقدر على إخبارها
بالحق، فأتبقى على جهلها فأن فيه عزاء حرمت أنا منه -
لم يبق لى إلا عملى وأحمد الله عليه، ودونى آمال محطمة
أينما أوجه بصرى .

١٦ مابو . أن نفسى نزاعة الى الانطلاق، كانتا هى مخلوقة
من هواء الصحراء ومن حر شمسها المحرقة . فهى تنزع

دأماً الى ذلك الخضم اليابس ، ومن لى بان اطيعها فاخرج
الى ذلك المتسع فأخرب فيه حيث لا أرى شيئاً لوثته
الحضارة ، وأعيش هناك بين أهلها الوحشيين، فهم فى عيى
أكرم ممن اراهم من اهل تلك الارياف .

ثارت بالأمس مسألة بين الناس ولا حاجة بى إلى
ذكرها . فوجدت كلا منهم يقيس منفعته المادية، وما يطلب
منه بذله فى سبيلها . ثم يهز رأسه قائلاً : «لا إن الامر لا يستحق أن
أشترك فيه» ولم يذكر أحد منهم ما يعود عليه أو على الناس من
نفع معنوى، ولم يذكر أحدهم كرامة ولا عزة ولا شرفاً .

ان اجلاف الصحراء احب الى واقرب الى قاي من
أهل تلك القرى ، استغفر الله الا قليلاً ممن احب ، فان
نفسى ما زالت تحن الى الرجولة فى كل صورها ، وتنفر من
التخنث والترف والدناءة وحب الذات والطمع واسر المادة .
وتلك الصفات ويالأسف أقرب الى أكثر سكان هذا الوادى .
إنى اهم احياناً فى الخيال فاذا أنا فى حلم يقظة ارى
نفسى فيه بين اعراب تلك الصحراء البعيدة الاطراف ، وأنا
واحد منهم ، واذا بى كأنى ارعى سواما اتنقل بها فى بطاحها

بين نفح الهواء ولفح الشمس . وكأني وأنا كذلك اسمع
صرخاينذر بجي قوم يريدون الاستلاب، فأتنكب بندقيتي،
وارجع الى نجبي، فأجد قومي قد شمروا عن ساعدهم كرجل
واحد، ليزودوا المغير عن عرضهم، وليحجموا ما لديهم من عيال
ومال . فأسرع معهم قائلا

وهل أنا الا من غزية إن غوت

غويت وان ترشد غزية ارشد

وعند ذلك لا يذكر أحد مالا ولا حياة، بل نذكر جميعا
عرضا نحميمه، وشرفا نحوطه من القذى، ضنا بشوكة أن
تستلان، وبرجولة أن يطمع فيها طامع .

ولكني لا أستمر طويلا في ذلك الحلم، لأن أمي
تناديني لأصحو من حامي، وكان نداؤها لي بالأمس « قم
فالساعة الآن السابعة يابني »

ما اشد الاسر والقيد بعد تلك الحرية الخيالية ؛ ولست
أدرى ماذا كنت أفعل لو كنت وحيدا . ان أكبر ظني
أن اكون ضاربا في الآفاق لا يستقر بي مقام حتى أموت .
مساء اليوم . رجعت الى ديواني المحبوب الذي ارجع

إليه إذا شجيت، فوجدت به قطعة شعر تمثل شعور شاب
يمثل ما شعرت به بالأمس واليوم وها هي :

خير من غنى على فنن أيها القمرى
قمت تشكو الوجدى وهن فى سنا البدر
نحن خلان على شجن فاحتمل سرى
أنت من يؤمن فى زمن قلما جاد يؤمن

* *

غنّ لى لحنا أردده تشف من سقى
فالجوى فى القاب يوقده والأسى يدمى
طال ليل بت أسهده ثابت النجم
أين صبح كنت اعهدده صائح فى الليل يشرده

* *

أسلك العمر على مال ساريا وحدى
ساريا فى مهمه قحل فى ربي جرد
لا أرى طبّا على على من صفاء ود
بئس عيش غير محتمل مقفر من سلوة الأمل

* *

يرتجى قاي السمو الى مرتقى النجم
ضاربا في مجده مثلا للعلا التم
ناصر الحق ما خذلا جاحد الضيم
ليس يستبقى الحياة فلا يدرك الا ذلال مكتهلا

وافؤادا كنت أحمده في حنا صدرى
حاطه غل نقيده عن مدى الحر
طالما هم فتقمده ذلة الاسر
كيف يسطو الايث تصفده أو يقدر السيف تغمده

سوف آبى الذل معتمدا كاسرا قيدي
ثائرا في الجمر تتقددا ثورة الاسد
هائما في الافق منفردا فيه عن عمد
قد أرى كالكفر من قعدا في هوان لا يهز يدا

ما حياة الهون في نحس بين أوجاع
سوف تنعى الغد للأمس دعوة الناعى
آخر الحرص الى رهس بعد إطماع
مرحبا بالموت والتعس في حمى العزة والبأس

٢٠ مايو . حل ميعاد القسط الثاني من ثمن الارض .
حسب شرط أبى وعمى ، ولست ادرى ماسياًخذ ابى منه
هذه المرة ، فاعلمه لا يخرج من هذا القسط كما خرج من سابقته ،
لأننا نحتاج إلى شىء من المال ، ولأن دين خالى واجب السداد .
ولو أنه لم يطالبه . وإن ابى لا بد حاضراً بعد قليل ، إذ أن
شرط عمى معه ان يخرج من الارض عند دفع القسط الثانى .
إن قابى وجيع فيحسن بى الا افكر فى شىء ، وليكن
ما يكون .

٢٢ مايو . جاءنى اليوم كتاب من ابى يخبرنى فيه ان
عمى لم يسدد له القسط مع حلول أجله ، ولكن طالب اليه ان
يخرج من الارض إذ أصبح لا علاقه له بها ، فاماراجعه قائلاً
إنه اتفق معه ان يدفع له القسط الحال قبل خروجه ، قال له
إنه سيدفعه له بعد قليل ، ولكنه اصر على خروجه من
الارض ، وهاهى درجة جديدة من درجات الشقاء . واليوم
قابانى أحد المعارف وقال انه رأى ولدى عمى يشترى
ملابس غريبة ، فن قبعات الى سراويل للركوب ، الى أحذية
ذات رقاب عالية . فاماسألها عن ذلك اخبراه انهما سيذهبان

ليحلا محل عمهما في إدارة الأرض وزرعها . حقا انها مكيدة
مدبرة، وهذان إبناعمي يستعدان لحياة جديدة يدخلان اليها
بهية كاملة وزينة تامة، كأنهما من رواد المستعمرات الافريقية.
أقبل إلينا يا أبي أقبل، فإن قلوبنا تتسع لك شوقا وحبا
وعطفا . أقبل يا أبي فقد نالك أذى كثير من أعز الناس
عندك . ممن ظالما أسأت إلى نفسك وإلينا بغير قصد من
أجل الاحسان اليه . ان القليل الذي نعيش به يكفي حياتنا
جميعا، ونزيد بوجودك بيننا قوة على احتمال الضيق، فأنت
أبي وانت بركة لنا .

احمد الله إذ خالفتك وخرجت من المدرسة لأعمل ،
فقد قضى الله ذلك إذ اراد بنا خيرا برغمك وبرغم امي
وبرغمي انا ايضا .

لقد عزمت ان اخبر امي بكل الحقيقة حتى لا يفجأها
مجيء ابني .

٢٣ مايو . ما كان اشد كدرا امي عند سماعها بخبر
الخسارة التي حلت بنا، واراها الآن تظهر الألم بعد ان كانت
تتخفية فيما مضى، ولها العذر، فانها رأت ان املا كانت تتعامل

به قد اصبحت كاذبا، والانسان يحيا بالامل في المستقبل، فاذا هو رأى الامل انهار، فكشف له الحقيقة الجاهمة تنظر اليه محزنة، ذهب عنه ما كان يصبره ف شعر بالشقاء المحيط به، وذهب به اليأس كل مذهب .

٢٤ مايو . أتى ابى واجتمع الشمل، بعد تفرق طويل ، ولكن على غير ما كنا نأمل ان نجتمع عليه، وانا مع ذلك مغتبط بوجوده بيننا، واشعر من نفسى بسعادة كبرى عندما افكر فى انى اقوم بالواجب على . ومع ذلك اجدنى حزينا من جهة اخرى، وذلك لأنى اعرف ابى واعرف انه متكبر وقد يتألم إذ يرى نفسه قاعداً وانا عامل، ولو عرف الحق . لايقن انه انما يسترد ديناً وليس يتلقى فضلاً .

٢٦ مايو . ان وقت الشك اكثر الاوقات شدة على النفس، فاذا ماضى الشك استقر القلب على اليقين ولو كان مؤلماً . فما عجب قلب الانسان ! لقد كنت اذا فكرت فى مثل الحالة التى انا بها الآن ضججت وخفت، ولكنى على تقيض ذلك الآن ، اجد حياتى محتملة، وان شئت قل انى اجد فيها شيئاً من السعادة . فالحق ان توقع الخطب اشد

فى خيال الانسان من وقوعه . وقد صدق المتنبي إذ يقول
كل ما لم يكن من الصعب فى الآن

فس سهل فيها اذا هو كانا

٣٠ مايو . مات رجل بالامس وهو من اغنياء البلاد،
وخلف لآبنة ثراء طائلا، وابنه وليد لم يتجاوز الحول الاول
من عمره بعد . وبهذا اصبح الوليد رب مائة الف جنيه فى
العام الواحد . وهل ذلك الوليد خير امثاله من رضى اللب
الذين يفرض القاضى لهم نفقة قرش كل يوم ثمتا لما يكفيهم
من لبن البقر ؟ وهل اذا كبر الولد فأصبح صبيا ، اىكون
غير امثاله من الابناء الذين لم يترك لهم الخطا الا الخبز وعود الفجل
وجوانب الجدران فى الطرق ؟ واذا صار رجلا ، اىكون
غير سائر البشر الذين يحصلون على قوتهم بالكد القاطع ؟
اذن فيهم ميزه القدر منذ ولد ؟ ام هذا من ظلم الانسان
نفسه ومن جور شرائع الحياة ؟ ان الانسان يسير على سنن
الماضين لا يفكر ولا يصلح ، فأصبحت الخطوط تصيب
عمياء فتظلم افواما وتحابى قوما ، وهل الحفر السحيقة حفر
الفقر الا نتائج لتلك القلال الشائخة ، قلال الغنى ؟ فالعالم

كفتاميزان مارجحت كفة إلا على خسران الكفة الاخرى.
 إذامت أناشقى من بعدى بضع أنفس ، على حين
 يولد ذلك الوليد رباً لنعيم حيزله ، وصاحب ثروة جمعت
 من أجله ؛ يجب ألا أفكر فى ذاك ، وما أجمل الاعتقاد فى
 وجود الله الذى يخلف على من لا عائل له ، ويحمى من
 لا ذائد عنه . أن ذلك الاعتقاد الجميل يهون على الانسان
 هموماً كثيرة ، وأن الأحمق الشرير هو الذى يسعى ليزيل
 هذا البلسم عن عقول الناس . فني الله عزاء البؤساء ، وبه تعلقة
 الآملين وله صبر المصابين .

٣١ مايو . رأيت اليوم فتاة صغيرة جميلة تحمل حطباً
 جمعته من حواف الحقول إلى بيت أمها المسكينة ، وكنت
 جالسا على حافة النرعة عندما ألقت بحملها إلى جانبي لتستريح .
 فأحببت أن أنظر إلى نفسها كما نظرت إلى ظاهرها وجهها ،
 فلم أجد فى ذلك صعوبة لأنها كانت تجيب غير خاشية شيئاً
 وولؤها الثقة بنفسها . وما زلت أحدثها وهى تجيب ، غير
 شاعرة بما يجول فى نفسى ، حتى تنبهت أخيراً إلى سؤال جعلها
 تشعر بشيء من الارتباك ، وذلك عندما أخذت أسألها عن

نفسها ، فانها أخذت عند ذلك تظهر لى الكره فى اجابتها .
ولكنى لم أقصر عن سؤالها ، رغم ما شعرت به من الألم .
عند مالوت وجهها معبسة ، وقبضت فيها المايح كارهة نافرة .
فلما أن سألتها « وهل تحبين حيانك هذه مع حمل هذه .
الأحطاب ، والسير على هذه الأشواك ، وأما تظنين انك .
حقيقة بأن تسكتى اكبر القصور أيتها الفتاة ؟ » لم أجد منها
رداً واضحاً ، بل رأيت على جبينها عبسة ، وفى عينها نظرة .
غريبة ، أعلمتى أن تحت ذلك المنظر الجميل نفساً قوية ثائرة .
فلما رأيت الاستياء بادياً عليها أخذت الألففها وأظهر ان .
قصدي لم يكن به شك ، والله يعلم صدق قولى ، ولكنى لم
أجد منها بعد ذلك إقبالا ، بل سارت عني وهى تمسح بقدمها
الصغيرة قطرات الندى المثلثة فوق خيوط العنكبوت .
كأنها عقود اللؤلؤ ، ثم سمعتها عن بعد تنادى فلاحاً شيخاً
تقول له « صباح الخير يا عم صالح » . واختفت عن عيني .
تاركة خيال وجهها الوضاء ، وعينها السوداء الواسعة ، وأنفها
المستقيم ، ولونها الحمري ، وفها - نعم فها الذى ظهر حيناً كأنه
زهرة باسمة ثم إذا هو مثل فم تمثال جامد عندما ولت عني

وقد رجعت إلى منزلى مملوءاً بصورتها، فطابت الديوان
صديقى وقرأت فيه وهى تالوح لى بين سطوره، حتى عثرت
على قطعة كأنها كتبت فى صفحتها، ولكنها على زهرة فى
الصحراء، وهاهى :

بيداء لا يهوى بها ناظر
إلا على صخر هشيم جديب
جر عليها الموت أذياله
وأعولت فيها سموم الجنوب
رمالها كالموج وثابة
يعلوها فوق الكتيب الكتيب
والشمس ترعى الأرض عباسة
شعاعها مثل حرور الالهيب
لا غصن يأوى عنده متعب
يظله تحت لواء رطيب
ولا غديراً تشتفى غله
برشفة من مجتناه الشيب

رأيت في أثنائها زهرة
مشرقة وسط موات الرمال
تفوح عنها نفحة مثلاً
يضموع مسك عن ثياب الدلال
جبينها كالفجر ذو بهجة
كأنه معقود مال زلال
تميل ميل الخود في خمارها
تمثت فيها معاني الجمال
يا زهرة عهدي بأمثالها
في كل بستان كريم الظلال
ما كان مثواك سوى روضة
بين الندى العذب وريح الشمال

* *

الزهرة

قالت وقد أزعجها مقدمي
وأنكرت مني حديث الفضول

ما ذلك الروض وماذا الندى
أراك ترميني بقول ثقیل
أنى أحب الشمس فى حرها
وأستلذ الريح ذات العویل
وقد الفت العیش فیما ترى
فلیس یرضینى به من بدیل
تفتحت عینی فی ضحوة
وسوف أغضبها بعید الأویل
وفى غد امضى كما قد مضى
من قبل ازهار الزمان الطویل

* *

یا زهرة البیداء عفواً فما
رأیت مثل الیوم کذب الظنون
عداك همّ العیش یا لیتنى
أنسى كما أنسیت تلك الشجون
من لى بأن أبرأ من عاتى
أ فاشتفى من داء هذا الفتون

عرفت فيما عشت ، في ساعة
 ما اعجز الخلق طوال القرون
 يا ليتنى مثلك في مهمه
 حيث حيناً وادعاً في سكون
 حتى اذا ما فات يومى ذوى
 عودى فأمضى لا ترانى العيون

٤ يونيه . أتى انسى الحقيقة أحياناً فأسعد فى النسيان ،
 حتى اذا ما عاودتنى الذكرى عدت الى شـقائى وآلامى .
 وها أنا ارى الحقيقة ماثلة امام عيني محمقة إلى تكاد تصعقنى .
 بنظراتها . ان الأيام تمر بسرعة ولا أرى امام اخى باباً ،
 الى السعادة المرجوة لملها . وما أضيق صدرى كلما فكرت .
 فى ذلك ، فانى اشعر عند هذا أن السماء تكاد تنطبق على
 وبأن الجو المتسع ضيق ثقيل الهواء . أين الآمال التى كنا
 نبنيها لهذه المسكنة التى يجرها البؤس معنا إلى هوة
 برغمها ؟ لقد مر علينا وقت كنا نعتقد انها ستكون زوجة
 لشاب من اكبر الشباب همة وقدرًا ، وكنا نضن بها
 على من نراهم اليوم أكبر من أن تكون شريكة حياتهم .

ولقد كاشفت والدى بما فى نفسى عندما زاد بى الهم على قدر
احتماله وحدى، فرأيتة يهتز لقولى أكثر من اهتزازى أنا له،
ولكن ماذا يستطيع؟ أيقولون فى العالم عدل؟ واقلباه !
٨ يونيه . لم أر أبى يوماً أشوق الى العمل منه هذه
الايام، وكأنى المسح منه استكباراً أن يبقى قاعداً - أن أبى
سخرى النفس كريم القلب، والسخرى يوجد بكل شىء إلا أن
يبدل شيئاً من كرامته، فإن الحياة نفسها تهون دون ذلك .
لقد كان أبى لايهم كثيراً للمادة، وقد ورث كثيراً من تلك
الصفة منه . وقد ضحى بكثير من مصالحته فى سبيل
من أحبهم، كاخيه سامحه الله ، ولكنه لا يقدر أن يرى نفسه
متكلاً على سعى أحد، ولو كان ابنه .

١٠ يونيه . ظهر لى اليوم السر الأكبر فى شدة حب
أبى فى العمل . فأنى اشعلت فى قلبه ناراً محرقة عند ما ذكرت
له اختى والأمل الذى كنا نبنيه لها فهدم قبل أن يتم ،
وقد لمح لى بذلك عند حديثه ليلة الأمس - لقد أخذ أبى
يسرد على تفصيل ما صنع معه عنى حتى كدت أبكى ، وقال
لى أخيراً وهو يحمر الوجه رغم صفرته الطبيعية « أنه طردنى

يا بنى ناسيا كل ماصنعتة له » ، فلما أن رأى ما على شفتى من القول قال لى « ولكنى اقول لك ذلك لتأخذنى درسا فى الحياة ، ولتعلم ما بها ، حتى لا تغتر كما اغتررت أنا بالمعاني الجلابة ، معانى التضحية والايتار . ولكن لا بد أن تعرف يا بنى أنه عمك وأخى - سامحه الله . - لا تؤاخذنى يا بنى إذا قلت إنك لا تحسن صناعة الحياة بين هذا الخلق ، وليس ذلك ذما بل هو عندى اكبر وصف للنفس الطيبة .

١٢ يونيو - لقد توفى أبى بعد بحث طويل الى مورد للكسب وهو تأجير أفدنه بجوار المدينة ، ويريد أن يذهب اليوم ليراها ، وهو يكاد لا يسكت لحظة عن السعى الى العمل .
مساء اليوم . عاد أبى من رحلته لمعاينة الارض وكله سرور ، فهى لا شك صفقة رابحة . وقد قابله الأهالى وكاهم يود أن يؤجر منها شيئا بأجرة لا بأس بها ، فخبذا لو تمت فتروى نفوسا ظما . ولكن لا يزال يشقصنا المال وهو لازم لى . تتم الصفقة . وأعتقد أن هذا ممكن ، اذ ان اخى فهم لن يتردد فى مساعدتى ، واطنه يستطيعها ، فسأرسل اليه غدا فى طلب ما نحتاج اليه ، وسأرجوه أن يكون شريكا فى

تلك الاجارة .

٢٠ يونيه . جاءنى رد فهم وهو يعد بالمساعدة فى حالة طلبى لها، فشكرا له مرة اخرى . اننى كلما ذكرت فهم ذكرت ايام التامذة والصبا الاول، وتحياته وهو الى جانبى فى كل جولة وكل مجلس، لا تحتفى عن أحدنا نبضة من قلب اخيه ولا حركة فى قرارة نفسه، وأرى أن عهد الصبا هو عهد تكوين الصداقة الصحيحة الخالصة، وأحر بالناس ألا يضيعوا تلك الأيام الطاهرة تمر بغير أن يعدوا للحياة عدتها من اتخاذ صديق وفى، فأنا صدقاء الحياة المادية أنما يلتصقون بظاهر المرء، وأما صداقة الحياة الألى فلسيقة بالنفس ومنبعشة من الحياة ذاتها . ولكن أمرا واحدا يعكر على صفاء تفكيرى فى ذلك الصديق، وهو انى لا أذكره ألا وأذكر تكريمه على ومساعدته لى ووقوفه الى جانبى بغير ان أصنع له شيئا نظير ذلك، والذي يزيدنى به اعجابا انى أراه قائما بوقفه منى، راضيا بأن تظل يده العليا لا ينتظر منى جزاء . ويلاذ إننى أتألم وأغبط نفسى به فى آن واحد، وليس لى ما أقدر أن أكافئه به ألا انى أحمل بين جنبى قلبا يذكره عند كل

تنفس، ويعرف له جميله، ويتمنى لو استطاع أن يملك ما يخدمه به، وحسب المقل مثل ذلك .

٢١ يونيو . ذهبت عقب تفكيرى فى فهم ليلة الأمس الى مضجعى موزع القلب، فلما ان غفوت رأيت فيما يرى النائم كأتى بعد طالباً بالمدرسة، وأخذت مناظر ذلك العهد تمر على صورة صورة، ولم تكن صورة منها غير حقيقية بل إنى استعدت أشياء كنت قد نسيته كل النسيان، وما أغرب الأحلام ! فكأن ذلك الحلم أعاد من عرفتهم صغاراً فى المدرسة، وأرجع الى الذهن صورة كل منهم اذ كان صغيراً . وقد نهضت اليوم من نومى والصورة منطبعة فى ذهنى واضحة فاستطعت أن اقرن تلك الصورة الماضية بأشخاص هذا اليوم فاذا وجدت ؟ وأى فرق تفعل السنون ؟

لقد كان من بيننا قوم كنا نراهم ناهين عقلاء، كانوا يشبهون الرجال، وكانوا فى نظرنا من خير الناس عقلاء، فإذا هم الآن من أحمّل العاملين وأقلهم فى الحياة غناء، وكان فينا قوم كنا نراهم صغار العقول، من ذوى اللعب والخفة، فأصبحوا اليوم وهم من رجال العقل والرزانة والصلاح . حقا ان الطفل

فى نفسه مخلوق خاص بنفسه، ويجب أن يبلغ كمال الطفولة من لعب ولهو وخفة، قبل أن يدخل الى دور الرجولة. وإن الطفل الذى يكون رجلاً قبل أن يدرك كمال الطفولة لن يكون رجلاً كاملاً كذلك. فإذا اردنا ان يكون لنا رجال من ذوى القدرة، فلا بد لنا أن ن فكر أولاً فى أن يكون أولادنا اولادا بلغوا الكمال فى طفولتهم - أولادا مرحين يلعبون ويخاطرون ويمجربون بيدهم العمل، ويفتحنون أعينهم الى الهواء الطلق والطبيعة القوية. ففي ذلك الاحتكاك بين الطبيعة والنفوس تتولد القوة على البقاء فى نضال الحياة. لقد هممت ان أقول رأى هذا للناس، ولكن لاأظن أحداً يعنى برأى مثلى. فلاأستكت ابقاء على ماء وجهى.

ارسل عمى لاني قليلاً من قسط الارض، ووعدته بان يعطيه الباقي، وهو الآن كثير، قريباً - أما انا فلاأظنه يفعل. ٢٥ يونيه. لم يقدر أبى أن يتفق مع الرجل صاحب الارض على الشروط التى يمكنه أن يستأجر بها، وقد اهتم لذلك كثيراً.

ان ابى يكبر فى عيني كل يوم، وأنقص أنا فى عين نفسى

كلما تذكرت أن الضيق كاد يوماً يحرفني عن أكباره بعض الشيء - سألني يابني فانها زلة من زلات الشباب الجاهل .
 أن أبى لا يعمل العمل على كبر سنه ، فهو يقضى في العمل أكثر النهار ويتأخر في الليل على غير عادته ، وأنى أخشى عليه من ذلك ولكنه لا ينشئ ، ولا يجب ملاحظتي ألا بابتسامة خفيفة . ويخيل إلى أن حبه الوالدى قد ملك عليه نفسه منذ ذكرته بأمر أختي ، ساعده الله . وأنى أكاد ألوم نفسى على قولى الذى أثاره تلك الثورة ، فلا يكاد يسكن ، فبالأمس كان فى دمنهور ، وسيذهب بعد حين الى كفر الشيخ ليرى أفدنة هناك بلغه أنها جيدة .

اول يولييه . قبات يد أبى إذ ودعته على المحطة ، وهو ذاهب الى كفر الشيخ ، وكأنى لم ألمح نحوه الا عند ذلك . فتألمت الما كبيرا ، اذ يذهب هذا الشيخ الضعيف وحده الى برارى تلك الاقاليم ، وهو يشكو فى نغذه الما يعاوده . كلما أجهد نفسه فى السير ولو قليلا . وقد وجدته يجتهد أن يخفى عنى كل تألم جسدى ، خوف أن اثنيه عن العمل . انى كلما تذكرت وجهه الشاحب المثل من النافذة ، شعرت .

فى قايى بوخزة كوخز الحراب ، ولت نفسى اعظم اللوم .
على أنى لم أذهب معه ، فأكون قريبا منه فى تلك الرحلة
الشاقة ، التى لا بد يصيبه منها تعب عظيم . وأتذكر الآن
دعائه ، فيذوب قلبى - لقد رأيته هذين اليومين ينظر الى
نظرة لها معان أحس بها ولا أقدر أن أفصح عنها . وأقرب
هذه النظرات كانت اليوم فى الصباح ، اذ أعطيته ما جاءنى
من الوظيفة ، فأنه قال لى عند ذلك ناظرا الى تلك النظرة
الناطقة « لقد قعدت يا بنى وانت تكذب بدلى ، وما كنت
اظن أن الله سيقبلك هذا العبء فى هذه السن ، ولكن
هكذا شاء الله ، ولعلك تستطيع ان تقيم بناء متهدما . » فقلت
له « والله أنه يؤلمنى اشد الألم انى لا أقدر على أن اجبى
بما ترضى له نفسى ، ولو ساعدنى الحظ على ما احب »
وهنا خنقتنى عبرة زادت بها نظرتة حرارة ، فمسح بيده على
رأسى وقال لى « بارك الله فىك يا محمد ، فان قلبك كثير لى
يا ولدى . »

أحبك يا أبى وأعظم فىك ذلك الكبر ، ابقاك الله
بركة وسلاما لقلوبنا .

٤ يولييه . عاد أبى مغتبطا بما رأى ، وأخذ يصف
الأرض وحسن موقعها ، وقرب محلها من المحطة الحديدية ،
وهي فوق ذلك أرض موقوفة وناظرة الوقف سيده يمكن
أن تؤجرها بشروط هينة ، ولا سيما الشروط المالية ، ولعلها
تكون من حظنا . ولكنى رأيت على وجه والدى أثر الشحوب
أكثر من المعتاد ، وهذا ما ينفطر له قلبى ، فإن الاجهاد يضر
بعثله وهو لا ينثنى .

٧ يولييه . اكثرت من القول لوالدى أن يدع كل شيء
يسير سيره ، ولا يهتم لشيء أكثر من الواجب ، وذلك
لأنى رأيت كثر التوق والاهتمام لما عساه يحدث . وقد
وعدتني أن يعمل بمشورتي ، ولكنى متأكد من أنه لن يعمل
بها ، لأن حبه الوالدى قد غلب على كل أمر آخر .
واليوم أرسلت الى فهديم أسأله أن يرسل الى رأيه فى
الأشراك فى هذه الأجرة ، وأعتقد أنه سيجيب ما طلب
اليه ، مدفوعا بحب مساعدتى لا برغبة الربح - جزاه الله
عن صديق كريم .

١١ يولييه . يقول أبى لو نجحت هذه الصفقة لوجب

الانتقال الى كفر الشيخ ، ولكنه يرى ان ذلك الانتقال..
يجب ألا يكون لأحد سواه ، فيريد أن يذهب وحده..
ويعيش هناك كذلك ، حتى يقدر على ملاحظة الأرض ،
وإدارة أمورها عن قرب ، وهذا انكار للنفس لا يزيد عليه..
اشار . ولكن من القسوة ان اطيعه في ذلك ، لأنه كبير
السن والوحدة مستحيلة على مثله . انه يحتاج بانه اعتاد..
تلك الحياة ، لأنه قضى فيها زمنا طويلا من عمره فلا يجدها
تشق عليه ، ولكن ذلك لن يكون ، ولا سيما لأنه أصبح
غيره بالأتمس لما أراه فيه من الضعف .

١٥ يولييه . جاء اليوم رد فهم وهو يعتذر عن تأخره .
بأنه كان غائبا عن القاهرة مع أبيه بضعة أيام . وقد صدق..
ظنى فيه كالمعادة .

وخاطبنا ناظرة الوقف ، وسيأتي وكيلها إلينا اليوم..
لنتفق على الشروط . ما أفكه أخى فهم ، فهو لا يجب أن.
يجعل كتبه كلها مادية ، لما يمامه من كرهى لذلك ، ويميل..
أبدا إلى أن يهدينى فى كل كتاب بطريفة من طرائفه ،
لأزيد من لذتى بقراءته . وكانت كلمته هذه المرة على احتفال..

قام بالقاهرة ساعة كتابته للخطاب ، وهو احتفال يوم ١٤
يوليه ، الذى يقيمه الفرنسيون فى مصر . فأنه أخذ يصف
لى الاحتفال وما فيه من أنوار وزينات ومناظر ، وبعد
أن انتهى من ذلك قال :

« وبعد ، فيا محمد ألا ترى الأمر مضحكا ؟ هذا عيد
الحرية قد أقيم بمصر ، فلماذا تشكو من فقدانها ؟ أنك صعب
الرضا - ولكن اسمع . ماذا تظن أن ميرابو يقول لو أنه
رأى ذلك الاحتفال ؟ أكان يعجب منه أم يسخر ؟ لا تجبنى
فأنا لا أريد جوابك ، ولا مواخذه فى ذلك الجفاء ، فأنما
أنا أسأل غير منتظر ردا . وماذا يكون حال من سقط
من الفرنسيين فى مثل ذلك اليوم ، لو انهم نهضوا من
قبورهم ، ورأوا تلك الذكرى تقام ليومهم ؟ لا تجب أيضا .
أن كل الأمور تنتهى بزينة وأغنية ، أليس كذلك ؟ اضحك ،
أضحك يا شيخ ، وقل كما يقولون « لتحيى الحرية » وتحيل أنك
من القوم - هنيئا لهم عقولهم ، والعاقبة عندك يا محمد . ألا
تفريق من عبوسك ؟ وتحياتى اليك » .

ما أحب قولك الى نفسى يا فهم ! ان كل كلمة منك

تثير في قلبي معاني تدق عن الفهم .

١٨ بوليه . أتى الوكيل الى أبي كما اتفقنا مع الناظرة ،
وقد كتبنا عقد الأجرة وانتهى كل شيء ، وموعد دفع
التأمين يوم ٨ أغسطس ، وسأرسل لفهم بذلك . وليس
أحد أكثر سرورا بذلك النجاح من أمي وأختي ، فأنهما
تصوران صورا بديعة لما يعود علينا من الخير من وراء تلك
الصفقة . وقد دب قولهما في نفسي فأعداني ، فأصبحت أنا
أيضا خفيف النفس مسرورا .

١٩ بوليه . أجد في نفسي سرورا هذين اليومين ،
واری الآمال تبيض في قلبي ، فتصور لي سعادة المستقبل
وراحته - وقد قضيت أكثر وقتي في داخل منزلي وسط
أهلي ، والبشر يعلو وجوههم جميعا ، وأخذت أختي كلما
دخلت عليّ تحدثني حديثا جميلا عن الصيف الآتي ، وما
سنجد فيه من لذات ومسررات ، فاقترحت عليّ الذهاب الى
شاطئ البحر ، واخذت تذكرني بسعادة الأيام الغابرة التي
قضيناها هناك إذ كنا صغارا ، والحق أن تلك الذكرى
لا تزال في نفسي زاهية جميلة . ولكنني جعلت أضحك في

نفسى منها، لأنها تبنى فى الخيال قصورا قبل أن يتم الحصول على شىء من مادتها، ولم اشأ أن أعكر عليها صفاء خيالها، ولا أن أنقص عليها نعيم وهمها، فتركها تصف ماتصف من خططها للصيف المقبل، وكنت أوافقها على ما تقول، حتى يعوضها الخيال شيئا من ألم حقائق الماضى والحاضر.

٢٠ يولييه. جاءنى حواله تلغرافية من فهم، وتسامت ما أرسل الى وسرأتى من ذلك. وسنذهب بعد قليل لرؤية الأرض معا. ويسرنى أن انتهى عمل كنت أراه حملا ثقيلا، لأن الانتظار مؤلم لثنا، وقد وضع أمله فى العمل المنتظر.. ٢٢ يولييه. أخرج الآن وحدى الى شمال المدينة.

بعد طول هذا الاحتجاب الذى منعى عن ان أروى نفسى. بتلك الطبيعة الحلوة القوية. أخرج الى الحقول الخضراء، والماء الجارى، والنسيم اللطيف، وأمتع ناظرى بالتطلع الى السماء البعيدة، والنجوم اللامعة التى يتمثل فيها معنى الابدية والدوام، وأنا اكتب هذه السطور فى كوخ خفير السكة الحديدية، وهو صديق من اصدقائى، أذهب اليه فأقطع طريقا طويلا، ثم أسمر معه حينما فأجد فى سمره لذة أعظم

مما أجد في حديث المهبذين . أنا مالى تأخذنى هزة شديدة
كلما خلوت فى تنزهى هذا ؟ فأن الحياة تبدولى عند ذلك
مجردة من زخارفها وغشاواتها ، فأرى زواهلها ، وحقارة
ما فيها من غنى وجاه وسلطان ، وأرى حقيقة معنى المساواة
بين الناس ، وأن من نسميهم الكبار ذوى الحول والطول ،
ما هم إلا رجالا قد طلى ظاهرهم بغشاء من نسج الانسان .
ولو خرج الخلق جميعا الى البداوة الأولى ، وأزيجت من
العالم تلك الحدود والقيود التى تغل الناس ، لكان للعالم شأن
آخر . أنا اكاد ألمس بيدى معنى الحياة ولكنى لا أستطيع
أن أعبر عن ذلك المعنى ، وغاية ما اقدر على الافصاح عنه
أنه لاقيمة لما اعتاد الناس أن يقدسوه فيها من مال وجاه ،
وأن العبرة فى التفاضل بين الناس بما عند كل منهم من صفات
الرجولة والشرف ، ولكن ذلك مقياس لا يرضى به كثير
غيرى ، لأنهم اعتادوا أن يذهبوا وراء المظاهر البراقة
والزخرف الكاذب ، فهم يعبدون الحقيق اذا اكتسى بما يبهى
عيونهم - حقاً إن الانسان ما زال هو الانسان البدوى
الجاهل ، ولو تغيرت مظاهر جهله . أليس هو نفسه الانسان

الذى كان يعبد الحيوان كالعجل والكبش مادام قد اكتسى
بكسوة مذهبة تأخذ بالأبصار؟

٢٥ يولييه . أجدنى هذين اليومين كثير الراحة
والاطمئنان ، وأخرج كل يوم إلى التربة في شمال المدينة ،
فأسير وحدى نحو ساعتين ، حتى أصل إلى كوخ صاحبي
الخفير ، ثم أعود وكأني لم أسر إلا دقائق ، وتشغلني طول
هذه المدة ذكريات الماضي ، وما نحن فيه الآن ، وما عساه
أن يكون في المستقبل ، والحق أنه لو فكر الآن انسان قليلا
لرضى بكل ما كان ، فان عقبي كل شئ، واحدة ، وآخر تلك
الحياة يلتقي الناس جميعاً .

أأست سعيداً؟ — ولم لا اكون كذلك؟ وإن من
يرضى بما هو فيه لسعيد . وما السعادة؟ إن الانسان يفكر
فيها كثيراً بغير جدوى ، وعندى أن السعادة شئ سلبى
لا إيجابى ، أعنى أنها ليست حالة بعينها — فليست في القوة
وليست في الغنى ، ولا في الجمال ولا في الشهرة ، وليست
في مظهر من مظاهر الحياة ، وما هي إلا السلامة من
آفات الحياة وآلامها . فاذا خلا المرء من مقلقات راحته

الداخلية ، واحتفظ بخلوه واطمئنانه كان سعيداً ، وذلك بأن
يكون بعيداً عن الشر والنزوع اليه ، عالياً عن مرتبة الأخلاق
البشرية الخفيرة والأطماع الدنيئة . وأساس الخلو من كل
هذه المقلقات أن يزهد في مادة الدنيا ، ويروض نفسه على
القناعة والعفة . فلسعادة على هذا سلبية ، وهي الخلو من
المكدرات المادية والخلقية ، والأبقاء على صفاء النفس
واطمئناتها . وأنى قد تمرى أوقات كوقتى هذا ، الآن ،
أكون فيها على مثل تلك الحال من الصفاء . ولقد صدق من
قال ان السعادة أقرب إلى الفقراء منها إلى الأغنياء ، فليهنأ
المساكين ذلك ، فان الطبيعة خلقت لهم من حرامهم نعمة ،
ولم ترض عنهم بالمرفهات .

٤ اغسطس . ذهبت مع أبى لرؤية الأرض ، فوجدتها
على مثل ما وصفها ، ولكن ينقصها شيء واحد ، فهي
ليست مثل الأرض الأولى التى أحببتها ، وليست بها جهات
شعواء وحشية مختلفة المنظر بين مفلوح وطبعى ، وايس فيها
ريح الطرنة ولا لون نوار العاقول ، وليس فيها ذلك النسيم
الجاف ، ولا الزرزور الأغنى فوق عود الرمان . ولكن

أظن أن الذكرى هي التي تعطي تلك المناظر السالفة جمالاً
في خيالي أكبر من جمالها الحقيقي ، ولعل الأرض الجديدة .
بعد المعاشرة تثير في نفسي ما كانت تثيره الأولى من .
المشاعر — أن قاب الإنسان عجيب ، فهو لا يقتصر في .
الحب على بنى آدم ، بل قد يحب الحيوان وقد يحب الجماد .
كأنما هو صديق له ، وهل وقوفه بالاطلال إلا نوع من .
الحب ؟ نعم ولكنه حب لما بالمكان من الذكرى فيصبح .
المكان رمزاً ويحل في القلب محل ما كان به .

أجد من نفسي هذه الايام قلة ميل إلى الكتابة ، فاني .
كنت اجبىء إلى كراستى هذه لاكتب مايجول بنفسي ، .
كأنما أنا أشكو إليها ، ولكنى الآن لا أجد من نفسي .
هذا الباءت نفسه . وأظن سبب ذلك انى استشعرت شيئاً
من الراحة بعد طول القلق والاضطراب ، فكنت في الماضى
اجبىء الى كراستى لاشكو لها ، وانا الآن أجبىء إليها
لأحادثها وافكر بين سطورها ، وشتان بين شعور قلب .
عليه وشعور عقل ، ففكر .

٧ اغسطس . لو كنت اعتقد في الهاتف انما انه قد .

جهتف بنى اليوم . فكأننى سمعت صوتنا يقول لى وأنا بين
النائم واليقظان « ان والدك كبير السن يضعفه الكد » .
فكثت افكر بعد ان انتبهت مذعوراً ، ثم طردت عن
نفسى الفكرة ، ولكنها عادت إلى برغمى ، ورأيت صدق
الهاتف مذتملت صورة ابى وهو عائد من كفر الشيخ .
أرى بقلبى قلماً كأنما هو يتوقع شيئاً ، ولكنى اهون
عن نفسى واقول ان هذا شعور الانسان دائماً اذا قبل على
انتقال جديد كذى انا مقبل عليه — هكذا اقول لنفسى ،
ولا يذهب عنى ما اشعر به من القلق . ولا شىء اليبق بى
من ان اترك التفكير فى هذا ، واجعل الامر لله يقضيه كما
يشاء ولا معقب لحكمه .

٨ اغسطس . ان والدى ينادى لى لمقابلة الوكيل
واعطائه التأمين فى وقته ، فاجعلها اللهم صفقة رابحة مباركة .
ان ابى ظاهر الضعف ، ولو انه يخفى عنى التعب اشفاقاً .
وان قلبى لىتمزق إذ اراه مضطراً للعمل فى هذه السن ،
واذ ارانى مضطراً لمساعدته ، غير قادر على الاضطلاع
بالحمل وحدى ، ويا ليتنى ! وهل تفيد يا ليت ؟

١٠ أغسطس . انتهى أعداد كل شئ ، وسنساغر اليوم
 إلى كفر الشيخ ، ولست أجد من نفسى ارتياحا الى ذلك .
 الانتقال ، ولا تزال نفسى منقبضة كأنها تتوقع شرا ، ولكن
 هذه عادة النفس عند الانتقال دائما ، وأظن أنى اذا استقررت
 مرة اخرى عاد إلى الهدوء والبشر الذى شعرت به عند
 بدء هذه الأجاره . ولعل ما أشعر به من الوحشة راجع الى
 تفكيرى بالأمس فى كثرة التنقل وأثرها فى الإنسان ، اذ انى
 اخذت اقول لنفسى إن الذى لا يقيم فى جهة واحدة لا يعرفه
 أحد ، ويعيش غريبا فى كل مكان ، ولا يجد الحب وهو
 أتمن ما يجده المرء فى حياته ، لأن الحب نتيجة الألفة
 والمعاشرة الطويلة ولا تطول المعاشرة مع الانتقال . فلا غرابة
 فى انقباض نفسى ، لأن هذا التفكير وخده كاف لتعكير
 كل صفاء . ويجب على أن أقاوم ذلك الميل ، وقد جربت أن
 الإنسان يقدر على إحلال السرور فى نفسه محل الوحشة
 والانقباض ، اذا هو تكلف المرح والخفة ، فلا يلبث أن
 ينقلب تكلفه شعورا حقيقيا بالأشراح ، فلا صنع هكذا .
١٥ أغسطس . تركت أهلى اليوم فى كفر الشيخ ، وترك

أبى يتكلم مع المستأجرين فى قيمة الأجرة وعدد الأقدنه
اللى يطلبها كل منهم، وأراه كثير الحركة، حتى لقد يخيل
لى أحيانا أن فى حركته شيئا من الاضطراب على غير
عادته، فهو فى العادة ساكن هادى، الحركة. وأراه يزداد
فى عيني شحوبا كل يوم، ولكنى آمل أن يزول ذلك كله
بعد أن يستقر ويطمئن، فإنه كلمة ناشئة من التعب والقاق.
أجد نفسى كأنى فاقد شيئا، فبالى مشتت، ويخيل لى أحيانا
أنى نسيت شيئا لا أذكر ماهو، فأتأمس جيبى، ولكنى
أعود الى نفسى، فأعلم أنه الخيال الذى يجعلنى أظن ذلك
وليست الحقيقة. ولا أدري لهذا التشتت من علة، ولعل
السبب هو أنى لا أجد أبى وأمى وأختى بجانبى.

١٩ أغسطس. كنت مبالغا فى الاعتداد بنفسى، أذ
ظننت أنى أقدر على الأقامة وحدى، فأنى أشعر بضيق
شديد من تلك الوحدة، ويزداد عندى الشعور بالتشتت
الذى بدأ بى منذ تركت أهلى بكفر الشيخ، ولكنى أحمل
كل هذا راغبا، لأنى أستطيع تحمل المشقة أكثر من أبى.
مسكين ياوالدى. هل تحملت مثل ماأنا فيه الآن كل تلك

السنين وأنا لا أدرى ؟ لقد قاسيت يا أبا كثيرًا بغير علمي .
وأكبر ما أكبره فيك أنك لم تظهر يوماً أنك تقاسى شيئاً .
سأرجو (ع) بك أن يأذن لي في أسبوعين إقضيها
مع أهلي بكفر الشيخ ، وأظنه لن يمانع في ذلك ، لأنه يرى
مقدار ما أبدل في عمله من الجهد ، فاني أقوم بعمل يقوم
بمثله ثلاثة مشتركون في دائرة (الباشا) جاره ، وهو فوق
ذلك رجل كريم النفس ، وصديق لوالد أخى فهميم ، وأراه
لا يرد لي طلباً كأنما هو موسى بذلك .

٢١ أغسطس . أجنى الآن من المرور في الأرض ، وقد
جهد ظني في أن المعاشره ستحبب الى الأرض الجديدة
تدريجاً ، فقد بدأت اعرف اطرافها ، واجد فيها جهات
وحشية ، تبيل لها نفسى ، لأنها مثل التي تركناها في الأرض
الغربية الجميلة . وقد وجدت هنا لحسن الحظ بعض شوك
العاقول بزهره الجميل ، وسمعت الزرزور يصيح نفس صيحته
القديمة . واجمل بقعة في تلك الارض ساقية تحيط بها اشجار
لبخ وجميز ، فتظل عليها ظلاً جميلاً ، تتخلله الريح وقت
الأصيل ، فيكون المجلس تحتها جامعاً من آيات الحسن

كثيراً ، وقد اخترت هذا المكان لأذهب اليه كل يوم
بعد تجوالى ففيه مراح للنفس .

٢٢ أغسطس . قد انتهى تقسيم الارض بين الزارعين ،
وعرف كل رجل الجهة التي سيزرعها ، وسيشرع أبى فى
كتابة العقود عن قريب ، ونأمل أن يكون لنا من وراء
هذا العمل ، ربح كثير هذا العام ، وسيكون الربح فى
الأعوام الآتية أعظم .

ما أحق هذا الرجل المستأجر القديم للأرض ، إذ يزعم
أنه سيخرجنا منها ، ويلوح لى أن حزنه على لقمة ضاعت
منه هو الذى يدفعه الى قواه . أن الفلاحين مسرورون من
شروطنا ، فهم خير لهم من شروطه ، لأنه كان لا يترك
لهم فرصة فى ربح إلا القليل الذى لا يفيد . ويلوح لى أيضاً
أن وكيل الناظرة رجل سىء النية ، فهو يأمح لى من طرف
خفى أنه قد اخطأ مع المستأجر القديم ، فلم ينذره بتسليم
الارض حسب الشرط ، وكأنه يطلب منى أن افكر مع
والدى فى حل المشكلة على تعويض تأخذه نظير فسخ
الأجارة برضانا ، ولكن ذلك لا يكون ، فإذا شاء المستأجر

القديم عاد عليه فقاضاه . أرى والدى قد زاد تعبهُ ، وقد اشترت عليه بالراحة ، ولاسيما وأنا موجود محله ، ولايكنه يحاول أن يستمر على العمل . ماأشجع نفسك ياأبى واكرمك ! أتى لم أدرك إيثارك حتى تفتحت عيناي ، وقدرت أن افهم ، فإنه إيثار لايدرکه الكثير لأن صاحبه لايتحدث به .

٢٥ اغسطس . لايزال الوكيل يردد قوله الاول ، ولعله يريد منى رشوة - ماأصعب معاملة الناس ! فقد كنت أظن أن ذلك لايتحتاج الى شىء سوى الاستقامة والصرامة والصدق ، ثم وجدت أن الأمر غير ذلك ، وأن معاملة الناس فن من الفنون ، وصناعة من الصناعات المعقدة التى تحتاج الى الخبرة والتجربة ، أن أبى دائماً يوصينى بأن ألين جانبى ، ولكن طبعى غلاب ، وسأحاول أن اعمل بما يريد .

٢٩ اغسطس . بدأت اخاف لأنى مضطر الى السفر بعد قليل ، واجد والدى قد زاد ضعفاً رغم راحة أيام ، وقد بدأ الوكيل يتنمر ويعاكس ، واخذ المستأجر القديم يهدد ، وأخشى أن أنكص أمامهما فيطمعا ، ولاأجد وسيلة امامى .

استطيع بها أن اتفق معها ، لأنهما يريدان رجوعاً في
الاتفاق وهذا لن يكون .

رب ارشدني فأني مضطرب صغير - لقد ادركت
أني صغير الآن ، واني لا أقدر أن احل محل أبي . شفاك
الله يا أبي عاجلاً .

٢٠ أغسطس . انا أخدع نفسي بالتعلل ، والحقيقة أن
اني مريض ، وليس الذي به تعباً يزول بالراحة ، فأني
اراه يضمحل يوماً بعد يوم ، وقد جاء اليه طبيب واعطاه
دواء أسأل الله ان يجعل فيه الشفاء والعافية .

أنا مضطرب للسفر بعد غد ، ولا بد أن اترك أبي وحده مع
أهلي هنا بكفر الشيخ ، وارانى أحتاج من الخوف ، ويكاد
قأبي ينخلم كلما تصورت تلك الحال . فأنا وحدي في دسونس .
لا يستقر لي بال ، واني وحده هنا مريضاً وليس حوله إلا
امى وأختي ، وهما تحتاجان إلى من يقوم بحاجتهما ، ولست
أدرى ماذا اصنع ، ولا علم لي بما سيكون ، ويكاد ثقل
حملهم ينوء بي .

كلما فكرت لم اجد غير احدى وسيلتين : فأما ترك

«الوظيفة التي انا بها والتفرغ للعمل هنا بدل ابى ، واما ترك
الاجارة والرجوع بأهلى الى دسونس كى اكون حاضراً
إذا دعا الأمر الى معين. ولأظن أن ابى يقدر على ما تتطلبه
الاجارة من مراقبة ومحاسبة مع مرضه، ولا سيما أن هذين
اليومين المقبلين أول سنة الزراعة. ومما يزيد فى شدة الأمر
معاكسة الوكيل وعداوة المستأجر القديم ، ولا ادرى كيف
استميل الأول أو أترضى الثانى.

لقد حوت فى أمرى فاللهم هدايتك ، فقد عز الناصر
وقلت الحيلة .

١ سبتمبر . هأنا فى مدينة دسونس ، وخلفت أبى
واهلى فى كفر الشيخ ، ولأقدر ان استقر ساعة - فاذا
جلست مللت ، وإذا سرت ضجرت ، وإذا التمت السلوة
عجزت ، وإذا فكرت حممت ، وكل شىء حولى يؤلمنى ،
حتى اكاد اختنق بالهواء الذى أستنشقه .

مالى كلما عزمت على أمر ، ولا حلى بريق أمل ،
انقلب الأمل الى خيبة وألم ؟ اللهم إن كان هذا قضاءك
فى فكما تشاء .

لا أجد من الفكر مناصا ، وكلما فكرت تمثل لي خطأى .
واضحاً ، لاننى أنا الذى تسرعت بنقل أهلى مع أبى ، وأنا
الذى أشعلت النار فى قلب أبى ، وقد كان فى كسبى القليل
مقنع لقانع . أننى لم أقدر أن يمرض أبى فى مثل هذا الوقت .
ولامثل تلك الظروف ، وكان الواجب على أن أقدر ذلك .
وأعمل له عدته ، ولكن متى كان عقل الانسان قادرا على .
الكمال لا يفوته خطأ ؟

إن مرض أبى لو تقدم شهرا لكان إنذارا كافيا ، ولكننا
نقنع عند ذلك ونقلع عن ذلك السعى ، ولو تأخر شهرا آخر .
لكان فى الأماكن أن يحضر إلى هنا بعد أن يكون قد .
انتهى كل شئ ، واستتب الأمر واستقرت الحال . فلم يحدث .
المرض فى هذا الوقت بعينه ، لا تقدم ولا تأخر ؟ أن هذا
أمر الله الذى قدر على كل مرء رزقه ، وما شأن المنكود فى .
السعى الى السعة ؟ إن الشقى إذا حاول النجاة من شقائه
وقع فى شقاء أبلغ مما هو فيه ، وهكذا قسمت الحظوظ بين .
الناس ولا عتاب ولا ملامة .

٣ بتمبر . جاءنى خطاب من اخى تطمئننى فيه على .

صحبة أبي ، ولكني المح بين سطوره مالم تستطع أختي أن
تخفيه - فأن نبرات لفظها تدل على الخوف ، وأكاد أسمعها
من الطرس ، وأكاد أحس بحققان قلبها وهي تكتب .
وقد عاودتني اليوم مخاوف أكثر قوة ، وعاد إلى هانقي
وهو الآن أعلى صوتا وأخوف إنذارا ، إذ يقول لي هذه
المرة « أن أبي في خطر » . اللهم أهذا قضاءك في ؟ أكاد
أختنق أو أهرأ إلى هذه النافذة فأسلكها إلى الهلاك ،
فالنسيان للنسيان إذا كان ممكنا .

سأتهز فرصة الغد يوم الجمعة ، فأذهب لأرى أبي
فإن قلبي يتمزق خوفا عليه .

٥ سبتمبر . جئت إلى والدي لأراه فوجدته كما قال
الهاتف ، ولا حول ولا قوة إلا بالله - وإن قلبي ليتحرق كلما
رأيت راقدا في مضجعه ، ويخيل لي أن أقعد إلى جانبه فلا
أبرح مكاني ، بل اظل أقبيل يده حتى تبرد تلك الحرقه . انه
ينظر إلى نظرة تذيب الصخر ، فكيف تفعل بقلب ابن
محب ؟ اني عندما لثمت يده اليوم شعرت كأن بردا نزل على
صدرى تخفف من لوعته ، وكأن الخطر الذي كنت قلقا من

اجله قد زال ، فأنى لا اشعر به الآن منذ رايته ، ولوانه في حالة من الضعف عزيمة . ولا ادري لذلك من علة سوى ان قربى منه قد ابعد عني تصور حاله في الخيال ، والخيال هو مصدر رعي والى في كل طور من اطوار حياتى - فقد وجدت نفسى تستطيع ان تقابل الحقيقة بغير ضعف مهبى . كانت مؤلمة ، ولكنها اذا تصورت تلك الحقيقة فى الخيال ، لم تستطع الثبات بل اضطربت وجزعت . ولعل هذا سر من اسرار النفس البشرية لم اعرفه من قبل .

مسكين يا ابى ما كان انحل جسمك واخفت صوتك !
 اأيام قليلة تفعل كل هذا ؟ وماذا فعل الطبيب واين ارد دوائه ؟
 ايها الطبيب ، ارجع لى ابى الذى كان يسير الى جانبى ، ارجع
 ابى الذى استشفى بطبك ، اذهبت حيلتك ؟ وهل عجزت ؟
 وهل تلك إرادة الله ؟ لقد تشدد عندما رأتى ، ولكنه لم
 يلبث أن عاد اليه الضعف أبلغ مما كان . . . ويلاه ! ماذا
 أصنع ، وقد حتم على أن أسافر الى عملى اليوم وأتركه على
 حاله هذه ، ولا أستطيع غير ذلك ، لأنى لا أقدر أن انقطع
 عن العمل الآن ، وقد سبق انقطاعى عنه مدة طويلة منذ

أيام . ولا غنى لنا عن ذلك العمل ، إذ فيه رزقنا ، ولا أقدر
على تضييعه مع ما نحن فيه ، وإذن فلا بد من تحمل ما جعل
الله لي في حياتي من الآلام التي تتكشف لي واحداً فواحداً .
ما كان أخف جسم أبي عندما حملته لأصعده به على السريـر
ولأنزل به عنه ، وما كان أضعف صوته عندما كان يقول لي
« حفظك الله يا بني العزيز » وما كان أثقل طرفه إذ كان ينظر
نحوي وكأنني به يريد أن يشبع عينه من النظر اليّ . قبلت
يده والقلب خافق ، وجالت في عيني دموع أخفيتها خوف
أن يتألم لألمي ، ووددت لو كنت أقضي العمر على مثل تلك
القبل الحاره ، أو لو بقيت إلى جانبه لأحمله كلما أراد حركة .
فانه لا يقوى عايتها وحده ، ولكن أواه ! إنها الحاجة ترغمني
على الذهاب الى دسونس . اللهم رفقاً بي . وأبي ! وأبي !
مساء اليوم . سألت أبي بشأن الأجرة ، وباليتمني لم أفعل .
لأنه قال لي عند ذلك : « أنت ترى بعينك يا بني أنني لا أقدر
على العمل الآن ، وهكذا يشاء الله . إنك يا بني مسكين ،
وأنا متألم من أجلك ، ولكن يجب أن تكون رجلاً وثق .
بالله رغم كل ما يلوح لك من سوء حالك وقلة حظك ،

فان له في كل كارثة نعمة ، وفي كل مصيبة لطفًا خفيا ، ثق به فإنه عمادك ومساعدك . وأنى أظنك لاتقدر على العمل مع هؤلاء القوم ، وأنا اعرف الناس بهم ، فانتترك لهم هذه الصفقة ، فهذا ما أراد الله . وإذا كان في الاجل مهلة . (وسكت عند ذلك دقيقه كأنما كان يبكي بكاء داخليا) اقول إذا كان في الأجل مهلة « كان غيرها خيرا منها »

لقد بكيت ولم أستطع أن أكتفم ألمي عند هذه الكلمات ، وان نفسى حائرة لا أدري ماذا أفعل ، وأجد ذلك الشعور بالتشتت قد غلب على كل مشاعرى . لقدودعت أبى ، وقال لى « لعل أراك ثانيا يا بنى » . وكيف يكون مصابى لو لم أرك ثانيا يا أبى ؟ لا قدر ذلك .

٦ سبتمبر . لأزال اتذكر كيف كانت قبلى الاخيرة

ليد ابى عندما ودعته قبل سفرى - لقد كانت طويلة خنقتنى فيها عبرة لم اتمالك نفسى منها ، فقطعت القبلة قبل الاكتفاء ولازات منذ الأمس مع ابى فى الخيال ، صاحيا كنت او ناعما ، واليوم قد اتانى من اختى خطاب نجهد فيه ان تخفى غنى الحال ، ولسكنها لم تستطع ، لأننى

قرأت بين سطوره ما لم يخف على الروح رغم خفائه عن
العين . ما اضيق الفضاء بنفسى وما شد شوقى اليك يا ابى .
لكان ناراً تتأجج بين ضلوعى ويثور لهيبها ما بين عينى .

٨ سبتمبر . هل يكون ما تخبر به الاحلام؟ فقد حامت
بالأمس كأنى ارى أبى وهو يحدثنى صحيحاً قوياً قى الوجه
مملوء الجسم - يكلمنى ويضحك كما كان يفعل ايام كنت
صبياً فى المرة الاولى فى دسونس . وكأنه كان يحمل فى يده
الساعة التى أعطانها يوم نجحت فى امتحان الدراسة
الابتدائية ، ويقول لى « هذه جائزتك يا محمد لنجاحك ،
وقد احترت لك الساعة لكى تنظم وقتك ، فقد اصبح الآن
ثميناً ، لأنك صرت من تلاميذ المدارس الثانوية » . إن
هذه الالفاظ احييت فى ذاكرتى ايام الحياة الأولى - ايام
الصبا والسرور والسعة - ولكن والأسفاه ! فأنها تحمل
أيضاً ذكرى النكبة التى حلت بأبى عقب ذلك بقليل - لست
ادرى هل تضح الاحلام فأرى أبى ثانياً وقد تعافى وشفى
من مرضه ؟ وما حلى ذلك الأمل لو تحقق !

جمانى هذا الحلم اراجع نفسى فى مخاوفها ، وأقول لعلها

مخاوف كاذبة قد دفعني الخيال اليها لفرط حذري وشدة حبي،
ولكنني أرى نفسي غير مستريحة برغم كل تعلل وكل مراجعة .
٩ سبتمبر . ماذا آكل اليوم ؟ أننى لا أجد فى المدينة
أى كلاً ملائماً ، ولا أقدر على عمل شئ ، لنفسي ، وأننى أرى
أنى حقير ضعيف إذا وازنت بين نفسي وبين أحد الأعراب
أو أحد الرواد ، الذين يجوبون القفار لا تدمهم المدينة بشئ ،
من عددها ولا نعيمها ، ويعيشون بأنفسهم سنين طويلة مما
يصيدون ويصنعون بأيديهم . وأننى أظن الرجولة لا تقيم
الإنسان إلا إذا عرف كيف يعيش وحده من الطبيعة ومع
الطبيعة ، بغير مساعدة الناس له ، فمن قدر على الحياة مستقلاً ،
كان ولا شك نام القوى وافر الرجولة ولكن وبالأسف
لم ننشأ إلا على الاتكال ، ولم نتعلم من عدة الحياة إلا بعض
الفاظ نحفظها ، أو بعض حقائق نفهمها ، وأما الحياة نفسها -
حياة الرجل ، فلانستعملها بشئ . وأغرب ما أرى أن الناس
لا يريدون أن يفهموا ذلك ، وإن أقل تفكير يظهر لهم صدق
هذه الحقيقة ، ولكنهم كما أقول لا يريدون أن يفكروا
ولا أن يفهموا ..

فلا بد ان ابدأ بتعليم نفسى، ورياضتها على هذه الحياة.
ولأبدأ منذ اليوم بقدر ما أستطيع، وسيكون لى اكبر باء
على العناية، لأننى إذا أهملت عاد الأهمال على، ولأبدأ
اليوم بطبخ شىء من البطاطس واللحم، ولا بد من اكله.
ولو كان محروقا كريبه الطعم، حتى احذق الطبخ.

ولكن ماهذا الذى يقرع الباب؟ انه خادم (ع).
بك - ماله داخلا كذلك واجما ساكنا؟ وماذا اتى به الآن
فقد كنت الساعة عند (ع) بك، ولا أظن شيئا جديداً
خطيرا قد طرأ عليه حتى يدعونى اليه بعد هذه الفترة.
القصيرة. أن الرجل - ويله - يتقدم نحوى ساكنا، وهو
يمد يده الى ما هذا؟ - إنه ...

١٤ سبتمبر. لقد سقط العلم من يدي فى آخر ما كتبت،
فى اليوم السالف، عندما رأيت ذلك النافر المشؤوم فى
يد الخادم.

وقد انتهى الآن كل شىء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.
ولم احضر وفاة أنى، ولم أره قبل موته، فواحر قلباه! إن
الحزن فى نفسى أعمق من الدمع، وهو يكاد ينفجر بقلبي ..

لقد كانت قبلا تاتي التي قبلتها يده آخر ما قدر لي منه في هذه الحياة ، فهل كنت أعلم ذلك ؟ وإن قلبي كان يتحرق وقتذاك ، وأنا أكاد الصق صفحة وجهي بظهر يده ، ولا أدعها ، فهل كنت أشعر إذ ذاك بما كان مخبوءاً في الغيب . وبأن تلك المرة آخر مرة أراه فيها على ظهر الثرى ؟ وهل كان هذا سر اضطرابي وقلقي عند وداعه تلك المرة ؟

قد انتهت يا أبي معاشرتي طويلاً بيننا ، وتحلفت عني وتركته وحدي في هذه الحياة ، أقاسى وحشتها منك ، وخلوها من قلب عاطف مؤثر محب . وإني لا أذكر لحظة من حياتي خالية منك — فأنتك تملأ حياة طفوتي وصباي . وأنت محور حياة شبابي ، وأنت صديق جهادي وعلمي ، دخلنا كلانا في ميدان تركتك فيه صريعاً ، وأقطعه الآن . وحدي وسط بيداء قاحلة هذا أنت يا أبي معي كأننا راجعان من معاناة الأرض ، وهذا أنت كأني أنا ديك وتناديني ، وهذا أنت كأنت تبسم لي وتمزح بوداعتك التي اعتدتها منك ، وهذا أنت كأنا نحن جلوس حول الموقد أيام كنت طفلاً ، نشوى الكستنة ونضحك ونمزح . هذا أنت معي

فى كل عصر ، أفتنذهب عنى كذلك وأبقى أنا وحدى فى
الحياة ؟ أهكذا يسقط الناس بعضهم عن بعض كورق
الشجر فى الخريف ؟ وهكذا يتخاف الرجل عن محب مرغماً ؟
خلفونى وقد علمت يقيناً ما لمن ذاق ميتة من إياب
فى الليل بعدهم وعليهم صرت فرداً ومائى أصحابى
عليك من الله رحمة بقدر ما هطل من قطر على الأرض
من ذخاقت ، وأفسح لك من رضائه جنات عرضها السموات
والأرض ، وإلى الله يا أبى نفسك الطاهرة السخية ، وإنا
لله وإنا إليه راجعون .

١٥ سبتمبر . لا فائدة من طول بقاء أهلى فى كفر
الشيخ بعد إذ كان ما كان ، ولا بد من نقلهم معى إلى
دسونس ، واكن لا أستطيع ذلك إلا آخر الشهر . أحاول
أن أعزى نفسى ، وأن أنسى فداحة مصابى ، ولكن
لا أجد سبيلاً إلى ذلك . فكلما سرت مع العقل شوطاً ،
غلبتنى العاطفة ، فوجدت نفسى فى طوفان من حزن عميق
وليس من عزاء عندى أكبر من أن أفكر فى لقاء أبى بعد
هذه الحياة ، فى عالم السعادة الأبدية والخلود .

١٦ سبتمبر . لست ادري ما جزعى هذا ؟ وما فائدة
حزن لا يعيد ماضى ؟ ولمن البقاء فى هذا العالم ؟ ليت العقل
يغلب القلب فيذهب الكثير من هموم هذه الدنيا وأشجانها ،
لأن الانسان إذا استخاع أن يقتنع نفسه بعقيدة زوال
هذا العالم ، وأن كل شىء فيه الى فناء ، احتقر كل ما يتلاق
به ، ولم يجد فيه شيئاً يحزن عليه . ولكن هيهات أن يتذكر
الإنسان هذا ساعة ثورته ، فإنه إذا صدم انساها شعور
ألمه كل تفكير وكل حقيقة أخرى غير ألمه .

١٧ سبتمبر . مازالت كل يوم ازداد اعتقاداً فى حقارة
تلك الحياة ، وكلما فكرت فى الإنسان وما يعمل فى حياته ،
زدت استخفافاً به ونقصاً منه - إنه يأمل فى سعادة يسعى
اليها ، ويحرص على مادة نالهها ، أو يدأب فى تحصيلها ،
ويفرح لنصر يناله ، ويحزن لخسارة تحل به ، وما آخر كل
هذا ؟ ليست كل حياته بعض دورات من دورات الفلك ،
ثم يصبح فى بطن الثرى تراباً كما كان قبل الحياة ؟ إن هذه
حقيقة بسيطة ، يعرفها كل انسان ، ولكن لا يتحققها أحد .
ولا يشعر بها شعوراً قوياً إلا الأقل . وعندى أن أعلى

درجة يبلغها الإنسان، أن يصبح مع أبي العلاء في ملته إذ يقول:
 غير مجد في ماتي واعتقادي نوح بالك ولا ترنم شاد
 ولكن هل يستطيع الإنسان أن يكون كذلك؟
 وقد رأيت بالأمس طفلاً أعمى، يدب على عصاً،
 وهو لم يتجاوز السلم الأولى للحياة. ورأيت آخر، وقد
 ذهب باصابه داء موروث عن أهله، فسألت نفسي ما معنى
 الحياة لمثل هؤلاء؟ أهى حياة سائر الناس، أم قد حرموا
 ما حبا الله به آخرين؟ فوجدت نفسي بين أحد قولين إما
 أن هؤلاء قد ظلموا إذ حرموا في قسمة الحظوظ مما تنفع
 به غيرهم، وذلك ظلم منكر، وإما أن النظر والصحة والمال
 ليست بشئ، وأن الحياة ومتعلقاتها ومظاهرها كلها أعراض
 هينة، لا عبرة بها، سواء نعيمها وبؤسها، وإني أميل إلى
 القول الآخر، تعالى الله عن الظلم والجور، فالحياة، كما بدا
 لي من قبل، واجب، علينا أدائه، والحياة التعمسة تمضي
 كما تمضي الرعدة، ولا عبرة بما بين الميلاد والموت من
 الحالات، فما هي إلا مشية المسافرين نحو مستقره

١٨ سبتمبر. نقول إن الدنيا لنا، وإننا أهلها، وإننا

مالسكو هذه الأرض . ويل لغرور الانسان وعماه ؟ —
وقفت بالأمس عند الغروب ، وكانت الشمس تصبغ
السحاب باللون الأحمر البديع ، الذى يأخذ بالنفوس ، وإلى
جانب ذلك لون السماء الأزرق الصافى ، الذى تهدأ العين
عند التطلمع اليه . فأخذت افكر فى جمال هذا المنظر ، حتى
هممت بالركوع خشوعاً وإجلالاً للخالق المبدع لتلك الكائنات
وعند ذلك ذكرت الماضى من الأجيال ، وأخذت أستعيد
فى خيالى كيف كان أهائى يقفون كما أنا واقف ، ويرون
ما أرى ، ويقولون هذه أرضنا ، وتلك سماؤنا ، وهاتيك
شمسنا ، كما أقول أنا اليوم . وما زلت أنتقل فى الخيال ، حتى تمثل
لى المصرى القديم ، وهو واقف فى حقله يزرع ويقلع ويغنى ،
حتى إذا ما غربت الشمس ، كماهى غاربة أمامى ، ركن إجلالاً
وخشوعاً كما هممت أن أفعل ، وتصورته وهو يقول ، « هذه
أرضى وتلك سمائى وهاهى الشمس الهى ذاهب إلى عالم الآخرة
حيث سأذهب بعد موتى ، فالتقاء قد استعد بنعيمه للقائى »
وظلمت كذلك ، أتصور حاله وهيئته وقوله ، ثم انتهت الى
نفسى فوجدتنى واقفاً فى مكان كان هو به من زمن ، وإذا

به قد بلى وذهب ، وتبدلت الأزمان ، وسار في موطن ، قدمه .
 أمم عدد الحصى ، حتى وقفت أنا به ، ولا أزال أفكر كما كان .
 يفكر وأحسب أن الأرض أرضى والسماء سمائي . حقا إن
 الإنسان لا يفكر عميقا ولا يتعظ ، وهذا طبع فيه لا يقدر أن
 يتخلص منه ، فهو باق عليه يحيا كما عاش من سبقة ، ويتبع نفسه
 كما تسول له ، حتى يلحق السابقين إلى الفناء . ولا بأس بذلك ،
 فإن الإنسان خلق ليحيا ويطيع نفسه ولا حيلة له في الطبع .
 وقد رجعت إلى ديوانى المحبوب فقلبت صفحاته فوجدت
 فيها قطعة كأنه يترجم بها عن نفسى هذه المرأة أيضا ، وهامى :
 تلك الصبا هبت وهذا الربيع جالسه الزهر بثوب ينيع .
 ونفحة تشفى الفؤاد الوجيع
 والشرق يستقبل بدر الدجى
 والغرب قد ضرج ما ضرجا
 قد لفت هذا الـكون حسن بديع
 وسجمة تملأ جوف الفضاء
 يا حسنها كيف يذوب الغناء .
 كأنها لحن ملاك السماء

وقفت بالنيل مزار الشجون
تجيش بي الآمال شتى الفنون
والحسن داء نأثرأى داء

هل تنقضى أيام هذا الشباب
وهل تعلّات المنى للذهاب
يا ليت شعري ما الغد المستراب

لنفس آمال طوال المدى
وجرة للمجد لن تخمد
لكن في الماضي عظات عجاب

ذكرت رمسيس على جحافل
كأنه ستر الدجى المسبل
متبدا كالهيدب المقبل

يسير في الناس عزيز الجناح
في شرف الملك وعز الشباب
ترمقه الأعين لا تتبلى

١٠٨

فقال إذ أعجبه الرونق
لمن تحلى الغرب والمشرق
ومن له يخفق ما يخفق

أكان غيرى فى الورى سيد
وهل سيدوى عودى الأملد
أحسب هذا الملك لا يخاق
لكن تولى الملك واستحالا
وبدل الدهر بجمال حالا
لم يبق إلا قصصا أمثالا

ولانى اليوم كمتلك العصور
أختال فى برد الصبى والغرور
وأبتى فوق السها آمالا
لا تبعن النفس فيما ترى
أضرب فى الآمال مستهترا
وفى غد أمضى كهذا الورى

١٩ سبتمبر . لم لا تترك الإنسان هذه الحقائق المادية

ويعيش وحده في عالم الخيال قانعا بأفقه الداخلي ؟ فان-
 رغبات النفس اذا لم نستطع الحصول عليها انقلبت الى
 الام حادة ، ولكن عيش الخيال لا توجد فيه تلك الخيبة
 التي كثيرا ما نلقى في عالم المادة . فكل شيء ممكن في
 الخيال ، ولا يستحيل فيه شيء ، فاذا شئت كنت فيه ملكا
 مطاعا مثل رمسيس او الاسكندر أو نابليون ، ولو شئت-
 كنت فيه رب ثراء لا أعجز عن شيء ، فاعلى الا ان اصور
 نفسي في مكان هذا أو ذاك ، واتخذ من الخيال جنودا
 وانصارا ، وأبني فيه مجدا وعزا ، وسطوة وصولا ، فلا
 تبعد على نفسي رغبة ولا أعجز عن بلوغ غاية ، بل أضرب
 فيه مطلقا حرا .

يقولون ولكن الخيال شيء غير محسوس ، ولا وجود-
 له إلا في الوهم ولا يلبث الوهم أن يزول . نعم ولكن ألا
 ينعم فيه الانسان حيناً ؟ وهل هناك فرق بين ما يتركه
 نعيم الخيال من الأثر في النفس وبين ما يتركه نعيم المادة ؟
 واذا كان الخيال يزول ، فهل حياة المادة دائمة ؟
 لقد سبحت في خيالي مطمئن البال ، وحولي من كل-

صنوف السعة والوفر ما تقر عيني به ، فأنا مع امي واختي
في منزل صغير حوله حديقته الفسيحة ، تحوى من الاشجار
والرياحين ما يلذ ويطيب ، والقمر يرسل عليها نوره الفضى
وانا جالس اقرأ على ضوء مصباح كهربائى قوى وعدا من
صديق بزيارة ، وقد جاء الصاحب بعد قليل ، وجلس معي
يحدثني احاديث مختلفة ، حتى جاء وقت العشاء ، فجهزنا من
الماكول اطيبه ، فاكلنا مع جماعة من الزائرين ، وجلسنا
بعد ذلك فى سمر حلو وفكاهة ، نتناول مختلف الاحاديث
ونأخذ منها من كل زهرة قطرة . وياليت كانت حياتي كلها
فى ذلك الخيال ، أو ياليت الحقيقة تخفى على أو يضرب يدي
وينها حجاب صفيق فلا يخرق .

ان تلك جولة لم تدم ، فصحوت منها لأجد نفسي فى
قاعى قبيل الغروب ، والظلام مقبل بوحشته ، والهواء راكد
خانى وانا وحدى ، وامى واختى وحدهما فى بلدنا ، والفقر
معي بئس الرفيق ، والأمل لا يكاد يدب الى نفسي من
ناحية ما . فما اوسع الشقة بين نكد الحقيقة وسعادة الخيال
٢٠ سبتمبر . جاءني من اختي خطاب تطلب فيه بعض

اشياء ضرورية للسفر ، وسأجهد لعلى استطيع ان ارسل
لها ماتطلب ، فهذا السفر لابد منه . ولكنى أجد يدي
قصيرة لأن مرض والدى رحمه الله ، وما احتجنا اليه عند
وفاته ، استنفد ما كان لدينا من المال الذى ارسله عمى من
ثمن الارض ، والوظيفة التى آخذها لا يبقى منها بعد القوت
شئ . للادخار ، فلا مناص من سؤال فھيم هذه المرة أيضاً .
ويلاه ماأشد كل ذلك على نفسى ! إذأرانى دائماً فى مقام
الطالب حتى لكأنه قد حتم على أن تبقى يدي السفلى . وفى
ذلك منتهى الشقاء لمن كانت نفسه مثل نفسى فأئن التفضل
منى ، وأنا على ذلك العجز ؟ وأئن الإياء والكرامة والشمم
إذا كنت مضطراً إلى السؤال ولو كان ذلك لأعزأصدقائى ! فان
الكرامة إذا جرحت ولو أمام واحد ، كانت كرامة مجروحة
نافصة . فما أقبح الفقر وأشد اساره ! انى لا أطيق التفكير فيه
. رغم كل تعامل وكل فلسفة ، وأكادأختنق كلما رأيت عجزى ظاهراً
. لعينى ، لأننى أنزع الى السكرم والى الحرية والى العزة
والافضال ، ولا أستطيع شيئاً من ذلك بل أجدنى أهوى
مع الحاجة برغمى الى السؤال والأسر والذلة .

٢٥ سبتمبر . أرسلت بالأمس ما طلبته اختي، وأتوقع
الآن بحبي، أهلي الى بعد هذا الافتراق المشؤم، وأظن
أن ذلك السحر يتطلب شيئاً من المال، وعلى زيادة على هذا
ديون متنوعة، ولا أقدر على سدادها ولا سيما في هذه
الأيام أيام الغلاء، الذي يزداد يوماً بعد يوم. فأجدي.
مضطراً لأن أرسل لعمي أو لأحد القريين منه. لأطلب
بعض مالتنا عنده من المال ولا بأس بذلك فاني سأطلب حقاً
لي، وهو يعرف الحال السيئة التي أنا فيها، ولا أظن إلا أنه
سيبادر الى الاجابة، لأن قلبه الاخوي لا بد قد حزن
لفقد أخيه، وأنبئه على إيلامه وأذاه، ولعله يفكر في محو
الاساءة إلى أخيه بالاحسان الى أبنائه، أقول الاحسان؟
وهل أصبح أداء الحق إحساناً؟

٢٩ سبتمبر . هاقد استقررت بعد طول الاضطراب،
وأراني أبسم بعد العبوس الذي لازمني حتى كأنه طبع في.
وجهي. أبسم إذ أرى امي واختي إلى جانبي مرة أخرى،
وهما مابقي لي في الحياة مما أضن به. مرحباً إلى قلبي المسكولهم

نعيش مما تنقاسم ما جعل الله لنا من رزق ، وتعاون على
ما يرسل الدهر من مصاب .

انى لا يخلو لى ليل من حلم ، ولا يخلو حلم من رؤية
أبى ، فاذا صحوت لم تزل ذكر اه مائلة فى عقلى ، وقت سرورى
وساعة ألى ، إذا اشتد الحر وإذا هب النسيم البليل ، إذا
أظلم الليل وإذا سطع البدر ، وإذا غربت الشمس أو لاح
النجم أو تنفس الصباح . فقد كانت معاشرة طويلة ذقنا بهامعا
صنوف المشاعر ، وبلونا فيها تصارييف الدهر جنباً إلى جنبه
لقد ارسات اليوم الخطاب إلى عمى ولعله يفيد .

٣٠ سبتمبر . بدأ الخريف منذ أيام ، وقد أخذ الجو
يرد فى هذه المدينة أسرع مما يبدأ ذلك فى الجنوب ، وأرى
ثياب امى واختى لا تدفع عنهما البرد ، ولكنهما لا تطلبان
غيرها خوفاً من إحراج صدرى

يالىت دمع العين يجدى ، فأبكى حتى أسيل قلبى وأخرج
من تلك الحياة ، ولكنى لو فعلت لم يعد ذلك بفائدة ، بل
لكان فى ذلك كل الضرر لو أصبح أهلى بغيرى ، ولا مستند
لهم إلا على الضعيف .

إن الانسان قد يستطيع أن يتحمل ما يصيبه في نفسه
ولكنه لا يقدر أن يهون على نفسه وقع ما ينزل بمن يحب.
كيف بي الآن لو مرضت أو عجزت عن العمل ؟
أيوت أهلى جوعا ؟ أم أتركهم لحماية المجتمع ورأفته ؟ حقا
لأنه مجتمع كريم رؤوف . إن قسوته مائلة أمام عيني في كل
وقت ، حتى لقد ظننت سوءا بالطبع الانسانى من أجل
ذلك ، لأننى أرى الناس يلذون رؤية الشقاء في غيرهم ، ولا
يفعلون الخير ألا مرااة وخداعا ، ولهذا أجد أن خير حظ
يناله أهلى إذا أنا هلكت أن يهلكوا معى .

١ أكتوبر . ما أعجب قلب الانسان وتغيره بين حين
 وآخر ! فهو فى ساعة ضنين بالحياة وفى اخرى زاهد فيها ،
حتى ليخيل لى أن أفكاره تتقلب مع قلب الجو ومع تغير
الفصول والأحوال ، وأرى فى نفسى ذلك واضحا ، وكأنها
مرآة ينطبع فيها حال الطبيعة .

كانت ليلة الأمس غاية فى الجمال ، فسرى غنى فيها
كثير من هموم الماضى ، وهذا ما أجده دائما إذا تركت
القمر والسماء الصافية والنسيم البارد ، فكان ذلك الهدوء

وهذا الجمال يظهر ان للنفس حقيقة معنى الحياة، ويكشفان
 عنها مظاهر الانسانية، تلك المظاهر التي خلقها الانسان
 ليعبدها، فيتضح لها الوجود على حقيقته، وتظهر الحياة
 مجردة عن ضلالها وزخرفها، وهنالك يجد أنى ممن حرّموا
 مادة الدنيا وحطامها، أنهم من الأحياء، وأن في الطبيعة
 لذات لهم لا يدوقها غيرهم من أهل الجاه العريض. إن الانسان
 لا يتمالك أن يعتقد زوال هذه الحياة وبطلانها وحقارة ما فيها،
 إذا هو تأمل ما في الكون الواسع من آيات الله القدير .
 لقد خرجت بالأمس الى الفضاء ونفسي تتقلّى على حجر ،
 وجلت بين الحقول أقلب طرفي في جمالها، وأسرح نظري
 في غدرانها وأغصانها، حتى هذأت ثائرتي وتبدل جوى نفسي
 الى نور يهديها، فعدت بعد هذه الجولة وفي نفسي دبر مما
 رأيت ، وراحة من أثر ذلك المنظر الجميل الذي أشبعت
 روحي من محاسنه، ورويتها من تأمل بدائعه ومن العجيب
 أنى عدت إلى منزلي فوجدت في ديواني قطعة كأنها تترجم
 عن نفسي — حتى لقد أصبحت أعتقد أن ذلك الشاعر المجهول
 كان يحمل قلباً مثل قلبي وينظر بعين كأنها ديني ، وهامى

القطعة وعنوانها (سر الحسن) وهى قريبة فى روحها ومعناها
من القطعة الأولى التى ذكرتها من قبل :

لا زلت تجرى يا نسيم الشمال	معطر الأنفاس
وتثنى يا غصن بين الظلال	بعودك المياس
والأرض فى زينتها تزهى	بجحلة السحر
تمتع العين بما تشتهى	من باسّم الزهر
والنيل ينساب بمنهاجه	يلعب الحباب
يراقص النور بأمواجه	كاللؤلؤ المذاب
ودون واديه رمال الفلا	فسيحة الفضاء
لا تستقر العين فيها على	منوى سوى هواء
بدائع شتى وآياتها	جلميلة السر
حسبى من اللؤلؤ ذاتها	وعبرة الفكر

* *

لصفحة الشرق إذا أسفرت	عن نفس الصبح
ونسمة الريح إذا ما جرت	ساحرة النفع
وزهرة فى الشوك مهجورة	باسمة الثغر
وقطرات الطل منشورة	تسخر بالدر

أطيب ما يدرك من لذة شعاعها قدسي
رئيسها يبقى على جنة يثور بالنفس
والحسن لم يخلق لبطل ولا لعبث الهازل
فنوره الأبلج وحى العلا للمثل الكامل

١٢ أكتوبر. تزيد في نفسى فكرة زوال العالم وضوحا
كل يوم ، وكلما خرجت إلى ذلك الفضاء الجليل ، ورأيت
نجومه البعيدة وبدره السنى ، خيل الى أنى وسط عوالم
حياة خالدة تنظر إلى وتضحك إذ ترانى ذلك الإنسان
المغرور الجاهل الذى لا يفهم ولا يتعظ . فقد مضى من الناس
جيل بعد جيل ، جاءوا إلى العالم وعاشوا فيه حيناً ، ثم
ذهبوا إلى حيث لا يرجع الناهب ، بعد حياة مملوءة بالآمال
والعواطف المختلفة ، من حب وكره ، وطمع ورغبات .
وماذا جنوا من كل ذلك ؟ وماذا تخلف من آمالهم ورغباتهم ؟
يعلم كل الناس أن كل هذه الآمال زائلة باطلة ، وهم
مع ذلك يأملون ويرغبون ، ولا يتعظون بما ترى
أعينهم من أمثلة الماضى . وهأنذا واحد منهم لا أزال
آمل وأرغب ، مع أيقانى بزوال هذه الحياة وبطلان ما فيها

من نعيم وزخرف . اننى كثيرا ما افكر فى هذا فلا يزالنى
الفكر حتى أقع فى حلم يقظة ، وتمر امامى اشباح الماضى ،
وأرى كائى فى منفيس او فى طيبة أو فى غيرها من العواصم
المصرية القديمة ، أشاهد آثار المجد والعظمة ، واتطاع الى
القصور الشامخة والحدائق الغناء ، وأنظر الى الجلال والجمال
فى غُدُوّ ورواح ، ثم ما ألبث أن أصبحو فأنظر حولى فلا
أجد إلا البدر يسطع على الحقول التى حولى وأنا وحيد فى
وسطها . وقد حدث مثل هذا ليلة الأمس فخاشت بنفسى
الخواطر حتى ازدحم بها صدرى ، ثم عدت إلى منزلى فوجدت
قطعة اخرى فى ديوانى المحبوب تمثل زوال العالم فى صورة
كانت أقرب شىء الى الصورة التى فى خاطرى ، وهى :

النجم يرعائى وأرعاه	قد يكر الجلاس إله
أبشه من زفرائى وما	لغيره يأمن أواه
والبدر فى اليل رفيق الخطا	يضى أقصاه وأدناه
تلوح فيه الارض موشية	من أقصر النبات واسماء
لمثل ما البصر من منظر	تُغفر للدهر خطاياهم

وساحرا الاجناب حلوا لى	ضعيف كرت الطرف تيام
حديثه مثل ديب المني	يبسم والدر ثنايا
حسبي من اللذة انفاسه	ومن رضى العيش لقياه
قد تمت الغبطة فى ليلة	قل لها فى الدهر أشباه
ما العيش إلا ما يلد الفتى	ونعمة الحسن قنصاراه



لكن برغى سذجت عبدة	وكل حال فيه ذكراه
كأننى أبصر دهرأ مضى	مما رأى البدر بمسراه
هاتيك من نفيس بها ما بها	من شاهق القصر وأعلاه
بلوح عن بعد بها وكب	أخراه لا تبدوا لأولاه
حتى إذا بصرت أعلامه	وخرت الناس للقياه
عرفت رب الملك فى عرشه	حسبك منه خبر سيماه



وذاك فى طيبة قصر سما	يضى فيه العز والجاه
وربه يختال بين الربى	نوارها يزهو برياه
وحوله من كل حورية	ياخذ عنها الطير مغناه

«اذالك كان البدر فى افقه كما أرى الساعة لألاه

والىوم لاقصرو لاروضه إلا طلالا من بقاياها
والبدر مازال على عهدہ كأنما لم یعف مغناہ

٣ اکتوبر . إن نفسى قلقة . فاذا جلست اليها انا قشها
عن علة قلقها لم اجد إلا إيهاما وغموضا . فهل ضاق صدرى
لوحشة من حب ؟ لا ، فان الحب يفيض منى وعلى ، وهذه
أُمى وأختى ما أحب أحداً أحداً كما أحببتها وأحبته . وهل
هذا الضيق من كدر العيش وصعوبته ؟ ولكن أأست
الذى يتعامل بصغر قدر هذه المادة ، وزوال النعيم ، وبطلان
زخرف تلك الحياة ؟ أم ذلك القلق نتيجة لهذه السحب
المتركة فى السماء ، تغطى نجومه وبدره ، ولهذا الهواء
الشديد الذى يهب كأنه يئن فى هبوبة ؟ لست أدري أى
هذه العلة قد أحدثت ذلك الأثر بنفسي ، ولا يمكن على أى
حال لأرى فى الحياة خطباً يحمل بى أن أقلق له ذلك القلق ،
فقد شهدت أن اكبر المصائب إذا نزلت بالإنسان أمكنه
أن يتحملها ، ولم يضق حتى بكارثة دهمته ، وما اكبر خطب أتوقع ؟

فاني لأملك شيئاً يمكن أن أفقده ، فليس من نازلة تنزل
 بي إلا الموت ومرحباً به ، فلقد كنت فيما مضى أخشى على
 أهلي إذا أنا مت أن ينالهم سوء ، ولكن أجدني هذه
 الأيام أقل خوفاً مما كنت ، لأنني كنت مبالغاً في مصابهم
 في إذا أنا قضيت ، وسيخلفني فيهم الله وهو لا يترك ضعيفاً
 . ولا يتخلى عن لاجئ مستصرخ .

٤ أكتوبر . رب أهكذا قضيت في خلقك ؟ . إن في
 الناس من هم أشد مني بؤساً ، وهذا مما يزيد ألي ، لأنني
 أتألم لنفسي ولغيري .

دهمت اليوم عربة لعظيم من عظماء المدينة رجلاً من
 الفقراء فأماتته ، وهذا الرجل أعرفه ، فهو أعمى فقد بصره
 . وهو شاب على أثر مرض الجدري ، عندما عجز أهله عن
 مداواته ، وكان أبوه صانع أوان صفيحية ، فبقي الولد كلا
 على والده حتى مات فأصبح يتردد بين أحياء البلد يسأل
 الناس ، فيعطيه الفقراء مما عندهم إذ كانوا يعرفونه منذ
 صغره . وقد عدت الحادثة قضاء وقدرًا ، فلم يكن لذوي
 الرجل من دية إلا مالا يسيراً تفضل به القاتل عليهم . ولست

أدرى لم أحزن لهذا الرجل وكان حرياً بى أن أسر له، لأنه
تخلص من حياة منكودة شقية . إلا أنى مع ذلك لا أتمالك .
أن أفكر فى تقسيم الحظوظ إذا أنا ذكرته ، فبينما يعيش .
أحدهم فى تراث آبائه ، لا يكدر فى شىء ، بل يقضى كل وقته .
فى تلذذ وترف ، نرى الآخر يعيش بالكسك القاطع والفقر
المدقع ، ثم تصيبه مصيبة فى عينه وهى نتيجة فقره ، فلا
يقدر على دفعها ، فيجملها كارها ، ثم يموت هذه الميتة البسعة
تحت عجالات صاحب الثراء . نعم إن هذا الننى وأمثاله قد
حطموا مثل ذلك الرجل حيا ، فسلبوه كل نعمة ، ولم يدعوه .
يحيا كل حياته التمسة ، بل حطموه حتى خرج منها متألماً .
فهل للحياة من قيمة ؟ وهل لتلك المظاهر الدنيوية .
من قدر ؟ وإذا كان لها قدر فكيف توزع النعم والمصائب
بين الناس ؟ إن كل ما أرى يزيد فى نفسى عقيدتى الأولى .
رسوخاً ، وذلك أننا ولدنا حتماً ، ونحيا حتماً ، ونموت حتماً .
وما حياتنا إلا واجباً أمرنا به وعلينا أدائه ، ولا قيمة لما فيها
من مظاهر وحالات ، فها هذه الحالات إلا أعراضاً تعترض .
الإنسان أثناء عبوره لها ، فهى مثل الغبار الذى ياحق .

بذيل المسافر في طريق يسلكها .

١٥ أكتوبر . خرجت بالامس بعد تفكير مؤلم في ذلك .
الرجل المسكين الذي قتله الغنى ، فلم أجد من أذهب اليه .
غير صديق خفير السكة الحديدية . فلما صرت معه اخذت
احادثه على عادتي ، ولكنني نسيت نفسي فكلمته فيما كنت
أفكر فيه بشأن الحياة وبطلانها وزوالها . وانها واجب لا
علم لنا بالمقصود منه وعامنا أن نطيع امر الله فيه . وكان الرجل
يسمع لي وهو متعجب مما أقول ، وكأني به قد ساء ظنه .
بني ، وحسب قولي دليل عقيدة مزعومة ، فأخذ يراجعني .
في القول على غير عادته ، لأنه في العادة يسمع ما أقول قابلاً
غير متشكك . فأخذ يقول لي « كأني بك تقول ان الحياة .
لا قصد لها » فقلت له « وهل تقدر ان تقول لي القصد
منها ؟ » فأجابني « اننا لأدري فأنا رجل جاهل ، ولكن
الله خلقنا لقصد يعلمه ، ولو كانت الحياة باطلة فلم نحياها
ولم جعل الله في قلوبنا حبها والرغبة فيها ؟ »

فقلت له « لقد قرأت الحق مع تواضعك ايها الصديق .
إنك تقول إنك جاهل ، والحقيقة أنك أعلم قلباً بمن يدعون .

العلم غرورا . أنا لا أعارض في أن الله قصد من خلقنا، ولكن
هذا القصد لا علم لنا به ، فلهذا أقول إننا خلقنا لنحيا ولا نعلم
لم ، فحياتنا حتم : أوهى واجب نقضية ، ثم نمضى عنها كذلك
سهما . وأما حبنا للحياة ورغبتنا فيها فيل غريزي طبع فينا
ولولاه لشعرنا بأن الحياة حمل لا قصد منه ، ولكن كل
إنسان يتخلص منها فيفنى الخلق ، فعواطفنا المختلفة ماهي
إلا طباعا جعلها الخالق فينا تحشنا وتثيرنا . فنقطع مرحلة الحياة
على دفعها وإثارتها بغير ملل ، وتلبيينا عن التفكير في الحياة
وقصدها وغايتها ، فتنقضي الأيام بين اندفاع الإنسان مع
حبه وكرهه ، وطمعه ورغباته ، حتى تتم الرحلة ولم يشعر
بوحشة المفازة ولا بطلان السير - تصوراها الصديق أنك
قد نزع منك كل شعور بحب وكل شعور بكره ، اكننت
تقدر على البقاء ؟ انك تحب كل ما فيه سرور لك ، وتكره
كل ما فيه ألم ، ولو لم تكن عندك هذه الميول أكننت تجدد
للحياة معنى ؟ »

ولكنى انتهيت عند ذلك الى الرجل ووجهه ، فوجدت
عليه علامات الشقاء بادية ، ووجدت في عينيه معنى الحيرة

والارتباك ، ففطنت إلى خطأى ، وعلمت أنى أريد أن .
أجذب الرجل إلى هوة شقائى وألمى ، فأشفقت عليه من .
وسواس هذا الفكر ، وأخذت أخرج به الى الحديث .
المعتاد ، حتى زالت عنه تلك النظرة الحائرة ، وأحمد الله إذ .
رجع الى سابق ظنه بنى بعد ذلك ، فقد وجدته عاد إلى
محدثى بالحرارة التى عهدتها عنده ، وقد عزمت على ألا
أعود الى مثل هذا الحديث معه ، وياليت أنى أستطيع
الحياة مثله بغير تفكير .

٦ أكتوبر - اليوم يئست من مساعدة عمى ونسيبه .
لأننى كنت ارسات الى صهره (د) بك أن يتوسط لى .
عنده لسداد ما عليه لى ، فجاءنى الرد منه اليوم ينفذ يده .
من أمر لا يعنيه . ولقد كنت أنتظر منه غير ذلك ، فكان
الخيال يصور لى أن ذلك الرجل ستدفعه الاريجية والنخوة
الى أن يرسل لى دينى ، لانه غنى صاحب ثروة عظيمة ، مفضلا
ان ياتظر هو على أن أنتظر أنا . مع حاجتى وقلة ذات يدي
ولكن احمد الله على أنه رفض التدخل فى الامر ، فان الله
خلصنى بذلك من ذلة ، وهل قبول مساعدة الناس الا

ذلة ؟ اللهم احفظ على إياي ولو ظل ذلك مقرونا بفقر قاتل .
 واني كلما خلوت الى نفسى ورأيت خلوها من أسر المادة
 التى تأسر الكثيرين ، اخذنى شيء من الإعجاب بها ، وحبذا
 الفقرا إذا كان صاحبه يشعر حقيقة باحتقار حطام هذه الحياة .
 ولست ادرى ماهؤلاء الذين نسميهم الأغنياء ، لأننى
 كلما فكرت فيهم لم أجد إلا فقرا فى نفوسهم ، وإفلاسا فى
 خلقهم . فأكثرتهم جامد ضنين ، ومنهم الذى يسرف ولكن
 على نفسه وترفها ، ولا تسخو نفسه باطعام مسكين ، وعندى
 أن الشح أكبر فقر للنفس . واني أعاف ان أكون غنيا من
 امثال هؤلاء ، فكما أمنت فى تعرفهم لم أجد إلا ظلما وسرقة
 وتطفلا ، فقصورهم الشائخة الى جانبها الاكواخ الحقيرة ،
 واذيالهم المجردة بجوارها عرى كامل ، وما قامت القصور
 الا على انقاض الاكواخ ، وما تلك الذبول المجردة الا أسلاب
 هذه الاجساد العارية ، فأين للغنى بذلك الغنى كله لو كان
 عادلا ؟ فان الناس لا يختلف بعضهم عن بعض فى القدرة
 بمثل هذا القدر . وإنى لا أتمالك الإعجاب باللص العربى الذى
 انتقم من هذا المجتمع الظالم بأن ابى السؤال وفضل النهب

قائلا في وصف كرهه للسؤال
وأن أسأل المرء اللئيم بغيره ونبيران ربى في البلاد كثير
الاعداء لك اللهم ، فان ظلم الناس كاد يجعل في النفس
حسدا . والذي يموت من الجوع معذور اذا هو حسد من
يعرضون بالتسمة .

٧ أكتوبر - اشعر هذه الايام بألم في جنبي وبقبضة
في صدري ، وقد تزايد هذا الألم منذ الأمس عندما اتاني
رفض (د) بك أن يتدخل بيني وبين عمي ، ولكنني قد
اعتدت إن أنا تأملت أن أخرج الى الفضاء ، فهناك أجد في
السكون والسعة ما يعيد لي قوتي . وسألتس ذلك الدواء
اليوم رغم برد الهواء ، منذ ليلة الأمس . استأدرى لم يسرع
الشتاء كذلك ولم يمنحني الصيف مسرعا ؟ فكأنني بالطبيعة
ذاتها تعاكس الفقراء .

٩ أكتوبر - ان المرض يزداد بي ، فالألم القليل الذي
كنت اشعر به في جنبي أصبح ألما مبرحا يمنعني النوم ،
والضيق الذي كنت أحس به في صدري أصبح الآن يمنع
النفس فيكاد يخنقني ، وإني على ما أنا عليه من احتقار الحياة

وكرها جزعت من سرعة سير المرض بي ، ولعل أكبر مايجزغنى هو التفكير فى أمى وأختى . ولكن ما أحسن أن ينق الانسان بخلاق عظيم يخلفه على من يجب اذا قضى نحبه ، فان ذلك يخفف عن الانسان أكبر الموم واقساها . وأحمد الله إذ أرى عقيدتى تزداد رسوخا يوما بعد يوم ، فان العقل المغلق هو الذى لا يرى يد الله فى هذا الملك العظيم ولا يستطيع من يفتح عينيه إلا أن يبصر بهما قدرة القدير وعظمته وجلاله .

١٠ أكتوبر . إن المرض جادّ بي ، ولا يزال كل يوم يغلب واضعف عن مقاومته ، ولست لن المس الأرض بجنبى ما استطعت غير ساعات النوم ، فان المرض قد تجدى فيه المقاومة .

لم يبق معى من وظيفة الشهر إلا ثمن القمح اللازم ، لمؤونة البيت ، فلا أقدر على الذهاب الى طبيب أو شراء دواء ، لأن القوت أولى من كل ذلك . ولا أقدر أن أعرض نفسى على طبيب وأرجوه إعفائى من الأجر ، فان نفسى تأنى هذا كل الباء ، ولا سيما وقد علمت أن بعض الأطباء

لا يحملون نفوس الأطباء .

١١ أكتوبر - شكرا لك أيها الطبيب الكريم ، وشكرا لك أيها الصاحب المحسن . إن صاحباً ما كنت أظنه يهتم لأمرى ، سأل غنى ، فقيل له إني مريض ، فجاء يعودنى مع صديق له (الدكتور محمود) وقد تطوع الطبيب بفحصى ، ووصف لى دواء ، وأوصانى بأن أقيم فى مدينة غير (دسونس) لأنها رطبة الهواء - نعم أيها الطبيب ، سأعمل بأشارتك ، فأذهب إلى حلوان ، وهناك أستأجر بيتاً ذا حديقة واسعة ، وأشتري له ثمين الرياش ونخم الأثاث ، وإن يمضى على هناك شهر حتى أبل من مرضى - إني أضحك ضحكة يأس باردة عندما أفكر فى هذا ، لأن أمثالى من الناس إذا مرضوا كان حتما عليهم أن يذهبوا ضحية المرض ، ومن يكون للموت إذا لم أكن له أنا وأمثالى ؟ - دغنى أيها الطبيب حيث أنا ، وإذا شئت أن تداوينى فاعلم أن عاتى قسوة المجتمع وظلمه ، فداو هذه الأمراض إذا استطعت ، ولا أخالك تستطيع ، وماذا يفعل الآسى مادام هناك مارد يقطع الأوصال ويخز القلوب .

١٣٠

إني أقتل قتلاً بطيئاً ، والذي يقتلني هو ذلك النظام
الذي يحمي السارق والغاصب ، ويحارب الجشيع ، ويظل القاتل
تحت جناحه .

١٢ أكتوبر . لن أفكر بعد الآن في أمر مرضي ،
فإذا هددت تأثيره حمدت الله على ذلك ، وإلا استسلمت لما
شاء ، ولست أقدر على القعود في منزلي ، فاني إن لم أقم
بعملي مت أنا ومن معي جوعاً — نعم متنا جوعاً بلا ريب
فليس في الناس من يرضى أن يحيا آخر يموت من الجوع
إذا كان ذلك يكلمه كسرة مما بيده — لا بل أستغفر الله إن هناك
من تسخو نفسه ، وهذا السخي هو الفقير الذي
لا يقدر على شيء ، ولكني أستغفر الله ثانياً ، فهل نسيت
فهم ؟ فلا أدع إذن ذلك التفكير ، ولأرجع بنفسى إلى عاداتها
من الخروج إلى الليل والفضاء الواسع ، ولأغرق آلام
جسمي في لذات روحي ، ولعل أستطيع أن أعيد إليها
هدوءها وأملها .

مساء اليوم — خرجت اليوم قبيل الغروب إلى ظاهر
المدينة عند صاحبي في السكة الحديدية ، فوجدت كل

شئى ، على عهده إلا شيئاً واحداً وهو أنا، فأنى تعبت فى السير
تعباً شديداً على غير عادتى ، وقد رأيت الاصيل ساحراً
فكانت السماء مزينة بالسحب المتقطعة البيضاء ، ثم كساها
الأصيل من الألوان ما يعجز عن وصفه اللسان ، وكانت
زهود الخريف الصفراء ترفع رأسها بين الحشائش الخضراء ،
والعصفور يصفر صفيرة المتقطع القصير كأنه طفل مرح .
فما زلت جالساً وقد استولى على سحر هذا المنظر ، حتى أقبل
الليل وظهرت النجوم البعيدة تلمع فى السماء ، والريح تهب
بين العصور فتحدث صوت حفيف محزن . فذهب ذلك
المنظر بالخيال إلى بعيد ، فنظرت إلى النجوم القديمة التى
شهدت الأرض ومن جاء فيها منذ قرون ، ولا تزال هى على
عهدها السابق تلمع وتنظر جامدة لا تتحرك إلى الحوادث
التي تهز هذه الأرض وتثيرها . فأخذت أسائل النجوم أين
ذهب من ملكوا الأرض . وأين راحت عظامها ، وكيف
اندثرت آثار حوادثها . وكأنى عند ذلك كنت أسمع النجوم
تجيب ضاحكة « قد ذهب القوم وما كانوا كباراً » نعم لقد كان
عظاء هذه الأرض أطفالاً تمت فيهم بعض القوى ، فثاروا حيناً

حتى نفذت قوتهم خفيت الثورة ومضوا - وما الفرق بين
 طفل يصرخ حتى يملك لعبته ، وبين ملك عظيم لا يزال حتى
 يملك الأرض ؟ فإن الميل واحد وإن اختلفت مظاهره .
 ومن أعجب الأمور أنى عندما رجعت إلى ديوانى
 المحبوب وجدت فيه قطعة تصور خيالى ، فقرأتها وأنا أهتز
 لها ، ثم تنفست نفساً عميقاً ، وكأننى فهمت منها سر الحياة
 فهدأت ، ويخيل لى أنى لو مت الآن مت مستريحاً مطمئناً
 وهامى القطعة .

راقصى ياسحب أنوار السماء	واسحبي الذبول
واخضبي كفيك يا جند دُكاء	بدم الأصيل
ونسيم الريح من صوب الشمال	يلثم الأفنان
ناشرًا من عطرها السحر الحلال	عن ربي الريحان
هذه الأنفاس أنفاس الربيع	حلوة عذاب
نعم هذا الحسن فى الروض الينيع	مونق الشباب
وقطار الطل فى سلاك العصون	لؤلؤ منشور
وأديم الأرض ألوان فنون	ضاحك الزهور
أيها الصادح فى أيكته	ردد النواح

فبكاء الطير في دمعته بلسم الجراح

غير أن الشرق القي مظماً
واختفى الحسن وشيكا مثاماً
وأتى الليل على صولته
وبدت تسطع في صفحته

وطوى الجمال يختفي الخيال
يملاً الفضاء درر السماء

إيه يا زهر تعاليت على
مشرفات من محلات العلا
حدثنا أيها الزهر بما
فلكم شاهدت فيها حكماً
هذه الأرض لمن كانت وما
خطأ أبصر تعملو خطأ
أين رمسيس على دولته
فلقد شاهدت من طلعتة
أين دارا صاحب الملك المجيد
أبن اسكندر ذو الفتح البعيد

ذلك انجود أبد الخلود
مر من دهور تعظ الغرور
هذه الآثار تملاً الأقطار
ومعاق — له وجفاف — له
ملك الورى أسد الشرى

أين هرون وما جنّاته في ربي بغداد
وابن چنكيز الذي ذلت له عزة الأجماد

النجوم

أنا هذا أبد الدهر أرى سيرة الأجيال
زمرّاً أبصرت تتلو زمرا تسرع الترحال
مالذي تسألني عنه وما هذه الأسماء
جاء اقوام وفتوا أمما ضمنها الفناء
ليس فيمن مرّ الأذاهب طائع الأمر
وسواء مبطل أو دائب آخـر السير
أى شيء ضل فيه السائلون مدة الآباد؟
نفس منبعث ثم سكون هادى الرقاد .

١٥ أكتوبر . كان المرض قد سكن عني في اليومين

الماضيين ، ولكنه عاد الى اليوم ويكاد صدرى يتمزق من
ألمه ، وأرى المرض جادا على حين أنا أهزأ به . رويدك
أيها المرض ورفقابي ، ولست أطلب رفقك حبا في الحياة
ولكن لأن لي أما وأختا .

أخذت أفكر في طريق أستطيع بواسطته أن أنجي

حياتي من ذلك المرض الذي يخيل إلى أنه خطير برغم
استخفافى به ، فكلما طرقت سبيلا وجدتها مغلقة ، ولا يلوح
لى أمل إلا من جهة واحدة ، وهى جهة صديقى فهم ، الذى
ما وقعت فى حيرة إلا كان هو منقذى منها . فلا أرسل اليه
هذه المرة أيضاً ، لعله يجد لى عملاً بالقاهرة ولست أخشى
منه أن ينقص قدرى عنده فان نفسه ليست كنفوس
الناس . وإننى كلما فكرت فيه مرت على صدرى نسمة
طيبة ، وارتسمت على وجهى ابتسامة ارتياح فى أى حال
كنت ، ولو فى أشد ساعات الهم وأحلكها . ومما يزيد
رغبتي فى البعد عن « دسوانس » ما رأيته على وجه
(ع) بك من التغير ، فكأنه تأذى من كثرة امراضى وقلة
عملى هذه الأيام ، فأصبح متجهماً عابساً نحوى . وانه
معذور ، ولا أخشى إلا أمراً واحداً منه ، وهو أن تبدر
منه إهانة لى .

إنى أريد ان اسرع بترك المدينة قبل أن يصل الأمر
إلى هذا الحد ، فان الحياة لا تساوى أن يهان الإنسان فيها .
وإنه يخيل لى أن الموت أهون على من تحمل الأذى فى

كرامتي ، فان نفسي متكبرة برغم كل ما أنافيه . ويلاه !
 إن هذا مما يزيد في شقائها ، فان أحسن عاطفة ينبغي أن
 تكون في قاب الفقير هي عاطفة التواضع واللين ، أوبقول
 آخر الضعة وتحمل كل شيء . فأذا لم يكن الفقير هكذا ،
 قضى أيامه على الألم المبرح زيادة على الفقر القتال .

١٦ أكتوبر . ذكراك يابى لانتزال تعاودنى ، ورحمة
 الله عليك فى مشواك البعيد ولو كنت أعتقد فى الأحلام
 لقلت إنى لاحق بك بعد قليل ، لأنى اراك كل ليلة فى منامى
 . وأقبل يدك وتبسم لى ، ووجهك ممتلى ، وعيناك تضيئان
 نوراً . وياليتنى أقدر أن احيج إلى جدتك ، فأبلاه ببعض
 تلك الدموع التى أذرفها كل يوم . رحمك الله يابى ، فكان
 بروحك معى تشجبنى وتصبرنى ، لأنى إذا ذكرك هانت
 عندى كل آلام الحياة وشقائها .

١٩ أكتوبر . امامى الآن داعيان ، احدهما من كفر
 الشيخ ، وذلك ان احداً صديقاً أبى أرسل إلى يعرض الاشتراك
 معى فى اجارة وقد اندفع إلى ذلك بحب مساعدتى إكراماً
 لما ذكرى أبى رحمه الله . وإن سعيه لمشكور ، ولكنى لا أظن

انى اقدر على تلبية مايعرض . واما الداعى الثانى فمن صديقى
فهمهم اذا رسل إلى خطابا يقول لى فيه :

يا عزيزى محمد

« ألا تزال على عادتك قرويا ؟ إني لن اسميك إلا قرويا
لما اعرفه فيك من حب الفضاء والبعد عن المدن . وقد
تركته كل هذه المدة لم اعرض عليك شيئا يخالف رغبتك
فى الوجود بدسونس ، لما كنت اعرفه فيك من حب العزلة
والبعد عن ضجة المدن الكبرى . ولكنى رأيتك حننت
الى القاهرة ، لأنها مدينة شبابك ، وقد سرنى ذلك .
واخبرك ان عندى بالفاهرة عملا ترصناه ، فاحضر الى فى
أقصر وقت ، لأننى مشتاق اليك . وعسى أن تكون شبع
من مناظر الطبيعة القوية الجميلة . وعلى ذلك ارجوك أن
ترك لى الحرية فى تسييرك حسب ماأرى ، ولا تضطرنى
بآهاتك الكثيرة ، وملاحظاتك العِدَّة ، إلى السير حسب
هواك . افهمت ؟ وبنى اندرك من الآن ، انك إذا كنت
تريد قصر سيرك ورياضتك على شبرا والجيزة ، والصجراء
، الواسعة والفضاء اللانهائى ، وحقول البرسيم وزهر العاقول ،

فانى اكون مضطرا عند ذلك إلى أن اضع على عيني غطاء ،
وفى اذنى سدّا ، وأجعلك تقودنى فى كل رحلاتك كما يقاد
الأعمى الأصم ، وهذا يكون عقاباً لن تستطيع احتماله ،
فتنزل على حكمى برغمك ، وتعيش مع الناس ابناء آدم .
إلى اللقاء يا عزيزى ودمت لأخيك . »

شكراً لك يا عزيزى « فهم » إني احبك وأحب كل
ما تقول . رسأذهب اليك ولعلى أستطيع أن أبقى بجانبك .
لأننى أشعر بالحاجة إلى ركن آوى اليه .

٢٣ أكتوبر - سمح لى (ع) بك بإجازة طويلة لمرضى .
وأغرب شىء انه سمح لى بها بغير تردد ولا غضب برغم
ما كان يلوح لى منه من العبوس تلك الأيام الماضية ، ولا
أدرى علة لذلك ، إلا أن يكون ابو فهم أرسل له فى هذا
بناء على إيعاز فهم ، فانى أميل دائماً إلى أن أعزو كل حسنة
فى العالم إلى ذلك الصديق ، وأغلب ظنى أن حدسى صادق .
وانى عظيم الألم لأننى مضطر إلى أخذ بعض وظيفتى
لأصرفه فى سفرى المقبل ، ولكن لعل فيه رجاء يعوض .
تلك الخسارة . وأشعر بشىء كثير من الاضطراب كلما

فكرت في أنى سأترك أمى وأختى هنا ، ولو ان ذلك مؤقت .
إلى حين ، لأننى لا أحب يوماً يطلع على غير حديثهما
والنظر اليهما . وفى نفسى شعور آخر ولا أستطيع أن
أعلمه - وماذا أقول ؟ ان القلق والاضطراب يصوران فى
خيالى صوراً مخيفة فأشعر بأن سفرى للقاهرة هذه المرة
سفر منحوس لن أعود منه .

٢٥ أكتوبر - لقد عرض على فهميم العمل الذى وجدته
لى بالقاهرة ، وهو محرر فى صحيفة ، وقال إنه سيجد لى فرصاً
أخرى بعد قليل ، والحق أنى لا أميل إلى ذلك العمل فى .
قرارة نفسى ، فعمل الصحفى مبنى على الاتصال بذلك المجتمع
وأنا التمس البعد عنه والهروب منه وأجد فى نفسى كرهاً
عميقاً للمجتمع سلبى والذى - نعم سلبى والذى ، لأنه هو
الذى قتله ، وسيسلبنى نفسى - ويلاه من ذكرى أمى وأختى !
إن هذا المجتمع الذى يُقتل فيه البرىء ، فقراً وظلماً ،
ويحتذى تحت ظل قانونه اللص والظالم والجشع والقاتل ،
لمجتمع يجب الهروب منه بكل وسيلة . فاذا أنا كنت محرراً
فى صحيفة ، فلن أكتب الا فى هدمه والكشف عن دناياه .

ومساوئيه، وسأكون بذلك خارجاً عليه متبرحاً لسكره
وأنا أود المرور من ذلك العالم سالماً ساكناً . فلا ترك ذلك
ولأمتع النفس بجمال القاهرة - لابل لأشبع قاي من ذلك
العالم ، لأنني أشعر أنني تاركة بعد قليل، وإنه يلوح لي الآن
جميلاً وكأن نفسي ضنينة به - عجباً ! وكيف أحب الحياة في
عالم لم أدر فيه إلا كل ما يدعو للمقت والسكره ؟ إنني أكره
العالم والحياة بعقلي ولكن حب الحياة طبع في غريزة الانسان
فهو أس البقاء . ما أجمل سماء القاهرة في هذا الوقت ، فهي
صافية لا يعكرها شيء كأننا في ربيع . ويجهد صديق (فهم)
أن يدخل لقلبي السرور بكل وسيلة فهو يدور بي على نواحي
القاهرة ، ويذكرني بذكريات الماضي ، ولكنني أشرد منه
دائماً إلى التفكير في مساويء المدينة في شقاء وترف كائنين
تحت سماء واحدة ، وغرور قوم وحطام ضحاياهم جنباً إلى
جنب ، وفي حال الناس وأن جماعة منهم يقعدون عن السعي
ويترددون بين أماكن القصف والاهو ، من ناد إلى مسرح إلى
ماخورة إلى خير ذلك مما يقتلون فيه وقتهم الطويل ، وأن آخرين
لا يجدون القوت رغم كد يذهب بنفوسهم . ولهذا أجدني

لا تتم لي لذة بجمال القاهرة ، ما دامت صورة ذلك الجور ماثلة في ذهني . وهناك أمر آخر يزهدني في حياة تلك المدينة المتسعة وهو ضجيجها الدائم وكأني بضوضائها قد زادت علوا عما كانت عليه في الماضي ، ولعل سبب ذلك بعدى عنها هذه المدة . فلست أجِد من نفسي ميلا إلى الرجوع إلى الحياة : في هذه الجلبة رغم ما بالقاهرة من جمال ، وأفضل ان أبقى في (دسونس) بعيدا في وسط الحقول والغدران .

٢٦ أكتوبر . يصير (فهميم) على تسميني (القروي) حتى في أثناء السير العادي ، وليتني كنت كذلك فأقضى الحياة في بضعة أفدنة أفاجها وأعيش قانعا . ولكن أنى لي ذلك وقد أحاط قوم بالغنيمة ولا حظّ بينهم لمثل .

ذهبت اليوم الى القصر العيني ليراني أطباؤه بالمجان ، وقد وصفوا لي دواء ، وأشاروا على بالهواء النقي والأكل المفيد ، نعم وسمعا وطاعة فاني سأعد كل يوم مائدة جميلة للغداء ، وأخرى للعشاء ، وأعيش في منزل جميل في مصر الجديدة او حلوان - ولكن سيكون كل هذا في الخيال فالحقيقة مرة . فهل هذا يشفيني أيها الأطباء ؟ إنني أضحك برغمي . أيها الأطباء .

إذا شئتم شفاء مثلى فاصرخوا في المجتمع وداووده أولا ،
فإن داءنا منه ولاكنكم لا تفكرون .

٢٩ أكتوبر . قد تكون الحياة بالقاهرة طيبة اذا كنت
اقضى كل وقى كما اعتدت من قبل ، بين الحقول والرياض ،
وتحت السماء والنجوم ، وقد تأكدت اليوم من أنى لن أستطيع
الحياة فيها بين اهلها وفي ميدانهم - فصحتى يضر بها الضجيج
اكثر مما تضر بهارطوبة (دسونس) ، وارى هنا حياة لا اقدر
على التشكل بشكلها واذا صبح راى اصحاب مذهب النشوء
والارتقاء فأنا غير صالح للبقاء فى نضالها ، لأن ذلك يحتاج
إلى قوة وشره وانا على جانب عظيم من ضعف الطيبة والزهد
ولا مدح فى ذلك ، لأنى اعتقد ان الطيب لا يصلح للبقاء
فى هذه البيئة الحاضرة .

حقا ان كل ظاهر الناس هنا مضحك فى سخافته وتفاهته
والكنهم رغم ذلك لا يدركون انهم سخفاء ، بل يظنون
انهم بلغوا اعلى درجات الرقى و ذرى المدنية . فقد ذهبت
منهم طباع الفطرة ، وأصبحوا متكلفين فى كل شىء حتى فى
اظهار الشوق والحب ، وحتى فى الأكل والجلوس ، فجعلوا

١٤٣

الكل شيء، قواعد وحدود لا تطبقها النفس . وقد أكون
أحياناً في حالة من الألم شديدة ، والهم يخيم على نفسي ،
فإذا ما أبصرت جماعة من مثل من اصف ، ورأيت كيف
يتخاطبون ، وكيف تبدو ويولهم وتظهر عواطفهم ، اخذني
الميل الى الضحك حتى ضحككت برغمي ، اذ يخيل لي اني
ارى دُمى تحرك اعضاءها حركات غير طبيعية ، لا خلقاً
من الأحياء .

ولا اظلم نفسي ، فاني اكبرها كلما رايت استرقاق المادية
والحياة للناس ، واستيلائها على قلوبهم ، مع حرية انفسى من
ذلك الأسر ، واحتقارها لما يتهافت الناس عليه .

٣٠ أكتوبر . اليوم حضرت مع فيهم مجلساً من مجالس
الأدباء ، وكان في الجلوس جماعة ممن يقولون الشعر ، ولكن
نفسى لم ترح الى أحد منهم . وكان كل منهم يحاول بقدر
استطاعته ان يظهر براعته في القول ، ويكشف لنا عن
محاسن نظمه ، وكيف يولد المعنى الطريف ، وينظم اللفظ
الأنيق ، وكان في الجلوس فتى أصفر الوجه ، اذا نظرت
الى عينه فكأنك تنظر الى شعلتين ، بهو ساكت وبه شيء

من العبوس ، وكان كلما قال أحد قولاً تبسم ومدح ما يقول ، فوجدت من نفسي ميلاً يرغبني على السؤال عنه ، فأخبرني ف فهم انه فتي ساكن حزين ، خرج من المدرسة بعد اتمام الدراسة وقد تهدمت بذيتة ، حتى لا يستطيع العمل الكثير ، ولذلك بقي يعيش على كسبه القليل الذي يصيبه راضياً ، ويعيش اكثر اوقاته في الفضاء مع الطير والشجر . واصناف الى ذلك انه شاعر ، ولكنه لا يقول كلمة من شعره امام الناس الا اصدقاء قلائل . وقد طالبت من فهم ان يسمعني بعض قوله وما كان اعظم سروري بما سمعت منه - فانه بعد انصراف الجمع ذهب مع فهم ومعى الى الجزيرة ، وقضينا هناك مساء من اجل اوقات حياتي . وقد اسمعنا شيئاً من قوله ، لو استطعت لجئت به جميعه ، واكتفى هنا بأن اثبت شيئاً على سبيل الاستذكار ، فلا أحب ان انسى ذلك الفتي الساكن الاصفر الوديع القانع ، لأنني احببته برغمي لشيء فيه لا اعرف ماهو ، ولا بد ان ابقى عندي ما يستبقى صورته . وهاهنا قطعة من قطعه :

١٤٥

«كلُّ يرى الحق على زعمه»

هي الشمول غير ممزوجة
تدب بالساقى وبالشارب
في روضة شعناء وحشية
لم تنتقص منها يد الشاذب
الزهر منشور بانحائها
والماء من جنب الى جنب
دقائق اللذات مخلوسة
فلا سماع اليوم للعائب

* *

لكن أشجانا يخالجنى
وهل تلتذ الكاس للأغب
ياصاح لا تلتأ إلى أن أرى
مطيباً لهماى الناصب
يازهر إن أسوت لى مهجى
لازات محمولا على حاجبى

١٤٦

أرى خصلا فيك يعجبني
على صفاح وجهك الشاحب

هبواب الزهر

تشكو إلى ذي قرحة إنني
أحق بالشكوى لما حاق بي
ما كنت للناس سميرا وما
خلقت للعابث واللاعب
خلفي دهرى وما حيلتى
ثم رمى حبل على غاربى
ياليتته - وهل تفيد المنى
حسبى إذن بدمعى الساكب

* *

قد جئت أستشفى إلى مدنف
حسبته ذا مرح داعب
تأخفى هموما فى غلالاته
وغرنى بظاهر كاذب

١٤٧

لكن هذا جدول سلسل
قد أشتنى بمائه الشائب
ياماء إن برئت من علقى
على يدك لم تزل صاحبي

مرواب الماء
جريت بالوادي فأحييته
من أشجرفيه الى عاشب
أحنو على العود كأن له
رشفه من درة خالب
حتى إذا ماصار ذا جرة
تشب للمقرور والساغب
لم يرع حتى وكواني بها
واحربا من أمل خائب

* *

حسبت هذا الماء يشفى الجوى
وكيف يستشفى الى ناحب

يا صاح فاطو الراح مختومة
لاخير لى فى ريقها الخالب
لكل حى فى الورى علة
لم يخل حى فيه من نادب
كل يرى الحق على زعمه
فالحق منشود بلا طالب

أول نوفمبر . عزمت على ألا أقيم فى القاهرة، وقد قلت
رأى لصديقى فهم فرأيتته تكدر عند ذلك ، ولكنه نظر
إلى وقال « إنك لاتزال قرويا . ألا تريد أن تصالح يا أيها
السادج ؟ » فقلت له « اعلم يا فهم أن بلدكم لاتسكن فأتركنى
أرحل عنه ، وأظنك لاتلومنى على ذلك الشعور فى قرارة
نفسك » . فنظر إلى وسكت لحظة ثم قال « ولكن يا أخى
ألم يقل لك الأطباء إن جو القاهرة لا يلائمك غيره؟ » ولم
يرد أن يطيل فى ذلك ولعله ظن أن ذلك القول يؤذنى .
ما أطيب قلبك يا فهم ! إن القاهرة أو أى بلد آخر فى
الوجود لا يفيد مثلى شيئاً ، فلا أرجع إلى مقرى الهادى . .
٦ نوفمبر . تذكرت اليوم آلامى الماضية فى محل عملى

بمدينة دسونس ولكنى مع ذلك أرى أنى ساكون معرضاً
لمثل تلك الآلام فى أى عمل آخر، وعلى ذلك فقد عزمت
أخيراً على الرجوع إلى عمل الأول .

١٠ نوفمبر . إن مثلى لا تفيده الإقامة فى أى بلد ،
وكيف يستطيع أن يأتى بالدواء وأن يقوم بشروط التداوى
من مأكل جيد، وسكنى موافقة ، مع ما هو فيه من العيشة
المنك . وإنى أشعر أن مقامى فى هذا العالم قليل ، ورحم
الله أبى لقد كان يقول لى ذلك فما كنت أصدق — كان يقول
إنه يشعر بدنو الأجل وهأنذا الآن أشعر بمثل ما كان
يشعر به .

١٢ نوفمبر . أفكر فيما إذا مت ماذا يكون حال من
بعدى ، فتسود عند ذلك الدنيا فى عيني لأننى لا أرى
أحداً يقوم عنهم سواى — إلا الله .
ما أجمل الوثوق بالله ، والاتكال على عطفه ! إن المؤمن
الحقيقى لا يجد فى الحياة هما يملأ نفسه ، ولا يجد فى الموت
خشية ، فآلق اللهم فى قلبى إيماناً قويا .

١٥ نوفمبر . كيف يقول قوم من الناس ان لا إله ؟

اعميت عيونهم؟ ومن يكون إذن خالق تلك العوالم
المتسعة وهذا الفضاء الفسيح وذلك الملكوت العظيم؟ من
لهذا الضوء وهذا النسيم، ومن بارى تلك النفس وموجد
تلك النباتات وهذه الحيوانات؟ ما أكثر غرور الانسان
ووقاحته إذ يقول ان لا إله . إن من يقول ذلك لا بد قد
افسده الغرور واعماه الجهل .

رب اخلفنى فيمن احب، فقد دنا الأجل على ما أرى.
رب إني واثق بك فاخلفنى فيمن أحب .

١٨ نوفمبر . طالت إجازتي عما كنت أقدر، فلا بد أن أعود
بعد قليل إلى عملي، ولا أظن زمنه طويلاً لأنني أرى الآمال
تخبو في نفسي، فلا أفكر الآن كثيراً كما كنت أفعل،
ولكني برغمي أفكر فيما يكون حالك يا أختي لو ذهبت
عنك، وماذا يكون حالك يا أمي .

إن املاً كنت أسعى إليه منذ سعت لم يتحقق، وما
كنت أسعى إلا لسعادة أهلي، فأبّت الأقدار إلا ما كان.
ماذا يكون مستقبلك يا أختي - يا أيتها الزهرة الجميلة؟
إن جمالك يتفتح الآن أمام عيني، وأكبر من جمال خلقك.

جمال خُلقك ، لم جعلك الله ابنة هذه الاسرة التعسة التي .
 ليس لها سوى ؛ وكيف تكون أيامك المستقبلية إذا أنا
 غبت ؛ وما يكون اشوق تربي إليك وافلق روحي إلى .
 معرفة اخبارك ؛ إني لا يحزنني ذكر الموت إلا لأنه سيبعدني .
 عنك وعن امي يا أختاه — أو اه ! ان جسمي لا يحتمل ألمي .
٢٠ نوفمبر . أرى أن أكتب وصية على أن ليس لي
 ما أوصي به ، ولكنني أريد أن اوصي على من خلفت ، فإذا
 كان للعالم قلب شعر . وليس أمامي من اكتب له الوصية إلا
 صديقي (فهميم) ، وسأكتبها وأعطيها له مع توصيته ألا
 يفتح المكتوب حتى أقضى — نعم حتى أقضى وليس أمد
 ذلك بعيد ، لأنني أشعر بدنو الأجل .

٢١ نوفمبر . يمنعني صديقي من السفر ، ولم هذا ؛ إني .
 اشعر باضعه جلال في قوتي وضعف في كل اعضائي ، حتى .
 في جفوني وأسناني ، واخشى ان اموت هنا بعيداً عن اهلي
 فينالهم من ذلك اذى في الانتقال الى في حال الذعر . ما اشد
 الفراق على نفسي ، ولا سيما فراق امي واختي ؛ وإني اشعر
 الآن بشوق محرق إليهما .

اشعر الساعة كأن اعضاءى تنفكك ، وبألم فى مفاصلى
شديد ، وقد ضعفت ضعفاً اخشى انه إذا زاد لم استطع
السفر ، ففيم المقام ؟ لا اطيق الاطالة فى الكتابة لان عيني
تتألم ، وظهري لا يستقيم .

٢٦ نوفمبر . هذا ما كنت اخشى . أموت بعيداً عن
باهلى كما مات أبى ولم اره ؟ لابد من السفر مع ماانا فيه من
الضعف الشديد ، وقد وعدنى صديقى ان يأتى معى ليعتنى
بى ، فشكر الله . شكراً لك يا صديقى فهميم .

فى مدينة دسونس

بأمر اخى آخذ القلم لا كتب مايملى على —
٣٠ نوفمبر . لا أستطيع أن أكتب ، ولكنى أريد
أن أكل قصتى ، حتى أمضى ، لتكون آخر صحيفة من حياتى
كاملة . ولذلك أنا أملى على أختى لتكتب لى : جاء معى
صديقى فهميم ، وهو الآن فى المدينة ليشتري لى دواء وإنه
يضطرنى إلى شربه ظناً منه أن فى الأجل بقية ، ولكنى
أدرى منه بما هناك . إنه لا يرضى ان يأخذ منى ثمن الدواء
وانا قابل منه تلك المنة ، كما قبلت غيرها منه بغير كره ،

لأننى اعلم ان الدافع له على ذلك جب لارياء فيه .وقد اعطيته
الكتاب الآنف الذكر ، واخبرته الا يفتحه قبل موتى .
مالك لا تكمنين ؟ اكتبى اكتبى كل كلمة اقولها ، فهل يبقى على
الارض احد : مالك تبكين ؟ قولى إنا لله وإنا اليه راجعون .
اكتبى كل ما اقول (وعند ذلك اشار اخى المحبوب الى
مؤكدا ان اكتب كل ما يقول حتى قوله « اكتبى كل ما اقول »

٢ ديسمبر . لم نشتر بعد مؤونة الشهر من الحبوب حتى .
اليوم ، وقد فعلت أمتى ذلك زعما منها أنى قد أضطر إلى
شراء دواء او غيره ، ولكن القوت لا يستغنى عنه ، ولا بد
من شرائه ، ولا يزال صديقى فهيرم يبعث فى الأمل ولكنى
اراه قليلا ، ولا رغبة لى فى الحياة . لا والله إنى احب ان
احيا على كره ، وذلك لكى ارى كيف حال اختى وامى . إن
المرض قد نزل بى اولا فاستهنت به ، وقد زاد حتى اصبحت
لا اقوى على احتمال ألمه ، وكانت زيادته فجأة ، إلا انى واثق
بإلله وهذا يخفف عنى كثيرا من الآلام .

* *

أخذ القلم للكتابة - انا فهيرم ، واكتب كل ما عليه

على صديقي محمد ، لأنه يرغب هذا وأنا لا أود مخالفته .
 إنه كثير الهم بلا موجب ، وأنا متأكد من انه سيبوأ من .
 مرضه ، ويقوى بعد ضعفه بأذن الله بعد قليل . أراه يسعى .
 لاثارة الدموع فى عيون من يزعم أنه يحبهم ويعمل على إيلاهم
 أفئدة الذين يقول إنه يحب أن يحيا على كره من اجلهم ،
 ولكننا نغفر له هذه المغالطة ، ونسأل الله التعجيل بشفائه .
٦ ديسمبر . لم ترض أختى أن تستدر فى الكتابة لى
 وقالت إن ذلك يقتلها ، فهى لاتستطيع ان تكتب كلمة .
 « موتى » بيدها . وها صديقى يكتب لى بدنها . أشعر
 ببعض اطمئنان كلما أرى حولى من يهتم لأمرى ، ولعل
 ذلك المهتم قد ارسله الله ليساعدنى فى تلك الشدة . وماخاب
 من وثق بالله .

٨ ديسمبر . ها قد اصبحت عاجزاً عن الأملأ ، إذ .
 أشعر كأن انفاسى تخونى ، وان صدرى لا يستطيع دفع اللفظ
 إلى اللسان . تغيض نفسى يوماعن يوم ، ويلوح لى أن قد تمت .
 الصحيفة ، تمت قصتى ، فوداعاً أيتها الكراسة ، لأنى لن .
 أعود اليك . تمت حياتى التى كنت أتساءل كيف تتم ،

وأكثر من التفكير في شأنها . ألا من مبلغ هذه الصرخة
إلى المجتمع ، يرى صورة ضحية من ضحاياها ، ولعلها تزججه .
ولست في مقام الخائف الغاضب ، لأنني على أبواب الآخرة
أستهن بكل تلك المادة الدنيوية ، فليكن الغضب والخفق
للأحياء ، فأنا على وشك تركهم إلى عالم العدل ، عالم المساواة .
إلى العالم الطيب والمقام الكريم .

تكملة القصة بقامى أنا فهم صديق المرحوم محمد

مساء ١٤ ديسمبر . بدأت اكتب منذ يومين لصديقي
محمد ، ولكنه في هذا اليوم لم يستطع أن يملأه العادي .
بل كان قوله منقطعاً ، ولما انتهى أو ما إلى أن أطوى الكراسة
ولوى وجهه نحو الحائط ، وكأني به كان يبكي عند ذلك .
فلم استطع البقاء هناك إلى جانبه ، وتركت الحجرة وقابل
يتمزق ، وخرجت إلى الحجرة المجاورة ، وهانا فيها اكتب .
هذه الكلمات والدموع تمسح ما اكتب .

١٥ ديسمبر . اظهر محمد اليوم صباحاً بعض القوة ، ثم
لم يلبث أن رجع إلى حاله من الضعف ، وهو لا يكاد يتكلم
كلمة واحدة . ولكن عينيه تنطقان أحياناً بالنظرات ، وأحياناً

ببالدموع مسكين يا عزيزي محمد ، فان قاي ينفطر كلما راك
تبكي ، وانت على هذه الحال ، لأنني اعلم سبب بكائك ، فما
هو حزنا لتوقع الموت بل هو لخوفك على من تحب .

١٦ ديسمبر . ماذا عسى ان يكون في ذلك الكتاب

الذي اعطاه محمد لي ؟ واني اخشى ان امسه تشاؤما ، وانا
كثير التشاؤم — لا اريد ان امسه خشية ان يكون فالأ
غير حسن الصديقي ، لأنه اوصى ألا أمسه إلا . . لا اريد
ان اذكر كلمة واحدة تؤذن بشر له ، واسأل الله له الشفاء
وهو القدير .

مساء اليوم . هدأت دموع محمد ، وهو الآن ساكن .

وأرى على وجهه انطلاقا كأنه استبشار بشفاء قريب ، فهل
تتحقق الأمانى ؟ إن امه واخته لا تزالان على البكاء كل
حين ، وانهما لجديرتان بذلك ، إذ ليس في الناس من عاش
الغيره كما عاش محمد لهما . ولا يرضى صديقي ان نبقى إلى جانبه
في الليل كعادتنا ، وهو يلح في ذلك إلحاحا نخشى ان نعارضه
فيه . وقد طلب منا ان نعدل له الفراش إلى جهة القبلة ،
وقد اجبناه إلى ذلك بقلوب تتمزق ، لأننا لانستطيع أن

نخافه ويلاه لوحدث مايتنبأ به ! إني اسمع الآن نحيب امه
أعانها الله على الصبر ، فهي مسكينة . ولا أستطيع أن اسمعها .
تبكي بغير أن أجيب ، وهأنا ابكى برغمي .

نصف الليل . بعد أن قننا من عند محمد ، ذهب كل
إلى مخدعه ، ولكني لم البث أن سمعت صوت أمه وهي
تبكي . فانها لم تقدر أن تذهب لتنام ، فأخذت تختلس
النظرات بين حين وآخر إلى غرفته ، وقد رأت منه
حركة مضطربة هذه الساعة ، فذهبت الى جانبه تسأله عما
يجد ، ثم خرجت من عنده ولعله طلب منها ذلك ،
وهي الآن تبكي حتى يخيل لي ان نياط قلبها تنقطع .
مسكينة هي ساعدها الله ! لا أستطيع الذهاب اليه
الآن لوجود أخته معه ، لأنها استيقظت على بكاء أمها
وذهبت الى هناك . ولكن امه تناديني ولا بد ان اذهب ..

١٧ ديسمبر . رحلك الله يا أخى محمد ، فقد تم كل شيء ،
وطويت الصحيفة ، وإن الله وإنا اليه راجعون .
مات صديقي اليوم وكانت ميتة هادئة - مضى وفق .

عينه دمة فرحه الله ، فان قلبه كان يفيض حباً ، وما كان يفكر في نفسه يوماً . انى ابكيه وابكى نفسى فيه ، لانى ارى حياتى قد ذهب منها بفقده لون من أزهى الألوان ، فقد كان مؤنسى ومهذبى . انى كنت ارى فيه من ايام التلمذة الأولى خلقاً عالياً ، ورجولة نادرة رغم صغر سنه ، فاذا ذكرته ذكرت طيبة القلب ، والكرم والشجاعة ، وكل حسنة من الحسنات وقد قضى صريع نفس كبيرة ، وضحية نظام فاسد اثقله بالأحمال ، فاجتهد ان يضطلع بها ، ولكنه وجد حوله دناءة وحب نفس وبخلا وطمعاً فناء بالحمل ، وهكذا قسمت الجحوظ في ذلك العالم الحقير .

انه ما بكى على الحياة ، وما كانت لتسوى عنده شيئاً . ولكنه كان يكبر الفضائل والرجولة ، ويستهن بكل شىء في سبيل المحافظة عليها . كيف اقضى الحياة بعده وحيداً من صديق كان يشغل أكبر جزء من قلبى ؟ وهل اقدر ان اعيش وليس في الحياة ذلك الركن الذى كنت الجأ اليه إذا ضاقت في عيني السبل ؟ لقد كان يزعم أنه مدين لى ولكن غفر الله له تلك الغلطة فانه لا يعلم مقدار فضله على " لأنه لا يرى حسنات نفسه

«وهكذا كان شأنه ، ينسى فضله ويذكر كل صغيرة تعمل له .
إني كلما اذكر الطبع البشري ، واني لا بد سأنسأه
بعد حين ، اثور على نفسي ، لأنني لا أستطيع أن أتصور
كيف تكون حياتي إذا خلوت من ذكراه ، ومن ذكرى
نفسه الطيبة ، وخلقه الحلو . هكذا تمضي الآجال ، وهكذا
يتخلف بعض الناس عن بعض ، وهكذا يذهب عن العالم
أنسه وعن الأرض روثها .

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا

أنيس ولم يسمر بمكة سامر

١٨ ديسمبر - لها العذر فيما تفعل ، وكيف تصبر الأم

حلى فقد ابنها ، ولا سيما إذا كان الابن هو المرحوم محمد .
فتحت اليوم كتابه ، رحمه الله ، وهل تعدى ما كان
بنفسى ، وهل كنت لأترك اهله ؟ إنه واثق بى كل الوثوق
وكأنى ارى روحه إلى جانبي تبعث في حيا . نم هادئا يا عزيزي
فقد اراد الله ما كان ، وسيسر روحك ان ترى سعيي في
إسعاد من تحب ، ولو انها تكون سعادة ناقصة بفقدك .
إني أستطيع الآن ان اعمل كل ما كان يجول بنفسي لأن

١٦٠

محمد كان يتألم كلما يرانى اقدم له شيئاً من المساعدة ، فان نفسه كانت تأنف المساعدة حتى من صديقه . رحمه الله !

٢٣ ديسمبر - لا استطيع مع والدته صديقى إلا التاميح .

بما أريد ، لأنى أرى الحزن يكاد يذهب بها ، وقد فهمت . قصدى على ماأظن وهى عاقلة من خير السيدات - ووافقتنى . وأنعم برأىها السديد ، على أن الزواج ليس من دلائل المرح . فقد قالت لى عندما لحت لها بزواج السيدة (فاتنة) ابنتها ، إنها لاتظن أن الزواج دليل فرح يجب ألا يظهره الحزين ، فان الزواج والميلاد والموت كلها امور لابد منها فى هذه الحياة فيجب ألا يمنع حدوث أحدها حدوث الآخر .

وبالطبع لن يكون شئ ليلة الزواج مما يدل على المرح . ولا أرى موجبا لاخبار أهلى ، فانهم يعرفون بمن سأتزوج . وهم يقدرون شرف الأسرة قدره ، وسيسرهم النبأ ولا شك .

٢٨ ديسمبر - اليوم قابلت السيدة (فاتنة) لأول مرة .

وتذكرت كل حسنات صديقى المرحوم ، وقد أصبحت زوجى ولا ينقصنا التسجيل الاتفاق ، ولا يمنع ذلك من أن أحادثها على ما أرى ، وإن حديثها جميل ، يذكرنى

بمحدث صديقي. إني لا أقدر أن أَرْضَى عن ذلك المجتمع الذي
 سلبني اعز صديق ، وما كان اخي محمد الا ضحية من ضحاياه
 انظر حولي فأرى ناحيتين ، ناحية فيها الشقاء القتاتل
 والأخرى فيها الترف المفسد ، ناحية فيها الكرم وعلو
 النفس والايثار ، والأخرى فيها الجهل والدناءة وحب
 الذات ، وإن السائد في هذا المجتمع وبالأسف ، فريق
 الجهل ، فريق الدناءة ، فريق حب الذات ، ألا رحمك الله
 يا صديقي ، ولا بد من العدل ولو بعد حين .

« كلمة للسيدة فاته اخت المرحوم » (محمد)

٣١ ديسمبر - انتهت حياة حبيب كان اعز عليّ من نفسي
 حياة اخي المحبوب « محمد » . لقد كان لا يفكر إلا في امر
 واحد وهو إسعاد امه واخته ، ولكنه لم يوفق الى رؤية
 ذلك في حياته ، فقضى صريع سعيه .

إنني اذكرك يا عزيزي ولا استطيع ان اجفف عيني .
 نأز روحك التي كانت تسعى لاسعادنا في حياتك ، قد
 ذهبت ضحية ذاك السعى ، ولكنها لا تزال مشرفة علينا
 بعد الموت ، وهأهي اشعر بها ترفرف فوقنا وتغمرنا بحبها

الفياض كما كنت في الحياة . رحمك الله وأعاضك اجرا بعملك
وسعيك ورحم شبابك الغض ، يا عزيزي ، ويا أخي ويا والدي .
« كلمة لوالدة المرحوم (محمد) »

٣١ ديسمبر . ماذا أقول ؛ لقد مضيت يا بني ، وعزائي
أني سأمضي على أثرك وملتقى ان شاء الله في عالم لا يفنى .
اني اذكرك فأذكر كل حياتي بين سعد وشقاء ، واذكر
آلام نفس صغيرة تحملت عبء الحياة قبل ان تذوق لذتها .
مسكين يا ولدي ، رحمك الله ، ولم يطل بقائي بعدك في
هذا العالم . اطووا عني هذه الكراسة ، فاني لا اطيع النظر
إليها بعده .

